تاريخ الفكر المسيحي

بقلم

الدكتور القس حنا الخضري

الجزء الثاني

اهداءات ٢٠٠١

دار الثقافة

الهيئة الإنجيلية والقبطية

تـاريخ الفكـر المسـيحى

الجـزء الثـانـى

بقلـــم
الدكتور القس حنا الخضرى

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص ب ١٣٠٤ – القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر وحده حق إعادة الطبع)
١٠ / ٤٢٨ ط١ (أ) ٣٠٠٠
رقم الايداع بدار الكتب : ٣٧٠٠/ ١٩٨٦
الترقيم الدولى : ٦ – ٠٦١ – ١٦٦ – ٩٧٧
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة – شبرا – القاهرة

هـذا الكتـــاب

هذا هو الجزء الثانى من « تاريخ الفكر المسيحى » .

وقد ركز هذا المجلد على الفترة من سنة ٣٨١ إلى سنة ٤٣١ ميلادية ومع أنها فترة قصيرة جداً فى عمر الزمن والفكر الا أنها تميزت بكم هائل من الأفكار عن شخص السيد المسيح . والمتتبع لهذه الأفكار سيكتشف مدى غيرة قادة الكنيسة الأول وإخلاصهم فى الدفاع عن العقيدة المسيحية السليمة ومقدار الجهد الذى بذله كل منهم فى الدرس لإثبات فكره ودحض مارآه هرطقة تمس سلامة العقيدة .

لكن المدهش أن بعض هؤلاء القادة وصلوا فى دفاعهم عن آرائهم لدرجة التطرف .

فبعد آريوس مثلا قام الاسقف أبولوناريوس ليدحض هرطقة آريوس وبذل جهداً هائلا حتى وصل إلى فكره اعتبرته الكنيسة هرطقة جديدة وإن كانت أقل شهرة من هرطقة آريوس . وهكذا الحال مع ديودوريوس ونسطوريوس .

ولا شك أيها القارىء انك عندما تنتهى من دراسة هذا الكتاب – ولا أقول قرأته لأن مادته ليست للقراءة السطحية بل للدراسة المتأنية العميقة – عندما تنتهى منه ستقول « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » نعم عظيم هو سر التجسد حتى حارت فيه هذه العقول الجبارة وتاهت وسقطت فى هرطقات مختلفة .

كما أنك ستقدر أيها القارىء الدور الكبير الذى قامت به الكنيسة للحفاظ على وحدتها وعلى سلامة عقيدتها . نعم كم من ضحايا وصفتهم المجامع بالهرطقة وحرمتهم من شركتها رغم اخلاصهم الكامل لكن سوء الفهم أو اختلاف المفاهيم جعل بعض القادة لا يفهمون بدقة ما قصده هؤلاء الضحايا لكننا نشكر الله أخيرا لسلامة الكنيسة رغم كل هذه العواصف التى هبت عليها .

الا أننا نلاحظ أيضا أن الكنيسة عندما تهتم بالبحث العقيدى والجدلى فقط وتفقد انجلة فانها تنقسم . ولو اهتم القادة بالتطبيق العلمى للمحبة لتخطت الكنيسة كثيرة من مشاكلها ولكسبت إلى صفوفها كثيرين ممن نذكرهم باكين مع انهم من جهابذة الفكر .

وقد بذل المؤلف جهدا كبيرا فى تحقيق كل رأى كتبه واسناده لمراجعة حتى يرجع إليها من يريد التعمق فى البحث كما أنه كان محايدا فى ابداء رأيه فى المواقف المختلفة فلا تحس أنه يريد أن يقنعك بفكرة مسبقة عنده لكنه يعرض كل الآراء لتظهر الحقيقة دون تحيز .

نأمل أن يفيد هذا المرجع المتخصصين من الخدام والباحثين وطلبة كليات اللاهوت وكل عضو فى الكنيسة يريد أن يعرف كيف وصل إلينا الايمان السليم .

دار الثقافة

فـى هــذا الكتــاب

الموضـــــوع	صفحة
تمهيـــــــد	٧
الجـــزء الأول :	
الفصل الأول : هرطقة أبولوناريوس	١٤
الفصل الثانى : تعاليم أبولوناريوس	٢٢
الفصل الثالث : بعض التعاليم التى نسبت إلى أبولوناريوس ولم يعلم بها	٣٨
الفصل الرابع : الحكم بهرطقة أبولوناريوس	٤٥
بعض المراجع عن تعاليم أبولوناريوس	٥١
الجـــزء الثـــانى :	
الفصل الأول : المراحل التى مرّت بها التعاليم الكرستولوجية قبل وبعد مجمع نيقية	٥٤
الفصل الثانى : التعاليم الخاصة بالطبيعة الواحدة والطبيعتين	٦٤
الفصل الثالث : الخلافات الكرستولوجية فى القرنين الرابع والخامس	٦٩
الفصل الرابع : الأسقف ديودوريوس الطرسوسى	٧٢
بعض المراجع لدراسة تعاليم ديودوريوس الكرستولوجية	٨٨

الجـــزء الثـــالث :

الفصل الأول : التعاليم الكرستولوجية الأنطاكية ٩٠

الفصل الثانى : ٩٣

الفصل الثالث : تعاليمه الكرستولوجية ١٠٦

الفصل الرابع : التجسد فى مفهوم ثيودوريوس ١١٨

بعض المراجع عن حياة وتعاليم ثيودوريوس الموبسيوستى ١٤٧

الجـــزء الرابـــع :

الفصل الأول : نســـطوريـوس ١٥٠

الفصل الثانى : نسطوريوس رئيس أساقفة القسطنطينية ١٥٧

الفصل الثالث : نسطوريوس وتعاليمه الكرستولوجية ١٦٩

الفصل الرابع : إتحاد الطبيعتين إتحاد بدون امتزاج ١٨٩

الفصل الخامس : ندخل القديس كيرلس الاسكندرى وكيليستينوس الرومـــانى فى مشكلـــة الصراع العقائـــدى الكرستولوجى ٢٠٣

الفصل السادس : وصول أخبار الصراع العقائدى إلى روما ٢٠٩

الفصل السابع : مجمـــع أفســـس ٢٣٠

الفصل الثامن : الجلســـة الأولى ٢٣٠

الفصل التاسع : مجمع الشرقيين (الأنطاكيين) فى أفسس ٢٤٤

بعض المراجع الخاصة بالصراع النسطورى وتعاليم نسطوريوس ومجمع أفسس وحرمانات كيرلس ٢٥٣

الخـــاتمـــة ٢٥٦

بعض التواريخ والاحداث المهمة ٢٦٠

تمهيـــــد

موضوع هذا الكتاب هو تطور الفكر عن شخص ربنا يسوع المسيح عبر الأجيال . وسأحاول أن أواصل ما قدمته فى الجزء الأول من دراسة عقائدية تاريخية علمية على قدر الامكان ، عن المفاهيم والتعاليم والمعتقدات والهرطقات التى ظهرت فى القرنين الرابع والخامس عن شخص الرب يسوع المسيح . ومع أننى سوف أركّز بحثى هذا على الفترة الواقعة فى الجزء الأخير من القرن الرابع والجزء الأول من القرن الخامس ؛ إلا أننى سأتعرض فى عدة أجزاء لتلخيص التعاليم الكرستولوجية (الخاصة بشخص المسيح) فى القرون السابقة .

وهنا أطرح نفس السؤال الذى بدأت به المجلد الأول وهو : ما هو الغرض من كتابة هذا الكتاب عن تاريخ الفكر المسيحى ؟

كان البحث فى الجزء الأول مركزاً على سؤال السيد الرب يسوع لتلاميذه فى قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » (مت ١٦ : ١٧) ثم على قول النبى سمعان « .... ها أن هذا (يسوع) قد وضُع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم » (لو ٢ : ٣٤) . وبما أن البحث تناول الموضوع الخاص بشخص الرب يسوع المسيح فى الفترة الواقعة قبل مجىء المسيا إلى القرن الرابع ، وبالتحديد إلى سنة ٣٨١ ب . م « مجمع القسطنطينية الأول » لذلك فقد تعرضنا لدراسة الانتظارات المسيانية قبل وبعد مجىء المسيا ، ثم لمفهوم الكنيسة الأولى لشخص الرب يسوع المسيح . ولقد رأينا أن نفس السؤال طرح نفسه على عدة أجيال وفى أماكن كثيرة . ولذلك فقد حاول الكثيرون فى القرون الأربعة الأولى الاجابة على هذا السؤال « من يقول الناس أنى أنا ابن الإنسان » . وفى محاولاتهم للاجابة عليه تفرقوا شيعاً وانقسموا أقساماً . ومن هنا ظهرت التعاليم الكثيرة المتنوعة المختلفة عن شخص الرب يسوع المسيح . فقد رأى فيه البعض إلهاً ، وإلهاً فقط ، والبعض الآخر رأى فيه إنساناً ، وإنساناً فقط ، وآخرون اعتقدوا بانه الله – إنسان .

وكانت هذه الآراء مصدر التعاليم المنحرفة أو الهرطقات التى ظهرت وانتشرت . وقد قاوم الآباء الأرثوذكسيون(*) فى الرأى والعقيدة بتفنيد تعاليم الهراطقة ورفضها . إن الآباء الأرثوذكسيين الذين قاوموا الهرطقات والتعاليم المنحرفة المضلّة وقاموا بحمل المشعل ونشر الإنجيل ، أمثال اغناطيوس الأنطاكى ، واكليمندوس الرومانى وبوليكاربوس وأريناوس ، ويوستينيوس الشهيد واكليمندوس الإسكندرى وترتليانوس وإريجانوس وأثناسيوس العظيم واغسطينوس وكيرلس الإسكندرى وآخرون أيضاً ، هم أباء الكنيسة كلها شرقاً وغرباً وهم أيضاً ملك الكنيسة العامة ومن حق وواجب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية والكنيسة الإنجيلية البروتستانتية والكنيسة العامة فى العالم كله ان تفخر بهم وبشجاعتهم وامانتهم وشهادتهم للرب يسوع المسيح .

ولقد حاولنا فى عرضنا لهذه التعاليم – أرثوذكسية كانت أم منحرفة – أن نقدم بحثاً تاريخياً علمياً نشرح فيه : مَن الذى نادى بهذه التعاليم ؟ وأين ومتى وكيف انتشرت ؟ وسوف نتبع هذه الطريقة لدراسة التعاليم المستقيمة والتعاليم المنحرفة التى ظهرت فى الجزء الأخير من القرن الرابع والجزء الأول من القرن الخامس .

ففى هذه الفترة ظهرت مشاكل عقائدية كرستولوجية(*) جديدة فى تاريخ الفكر المسيحى : مثل مشكلة الاتحاد : أى مشكلة إتحاد الطبيعتين اللاهوت والناسوت . ففى القرون الأربعة الأولى واجهت الكنيسة مشكلة الغنوسية والابيونية ومشاكل أخرى . وكان النقاش الكرستولوجى يدور حول الأسئلة الآتية :

من هو يسوع المسيح ؟ هل هو إنسان أم إله ؟ وما هى علاقته باللوغوس ؟ وما هو اللوغوس ؟ وهل من علاقة بين اللوغوس ويسوع الناصرى ؟ وهل اللوغوس هو ابن الله منذ الأزل أم خُلِقَ مع الخليقة أم خلق قبلها ؟ وما هى علاقة اللوغوس بالله الآب ؟ وهل هو من جوهر الآب أو من جوهر آخر ؟ وهل هذا اللوغوس حلّ فى جسد بدون روح بشرية أم فى إنسان يدعى يسوع الناصرى ؟

كانت هذه الأسئلة وغيرها محوراً للنزاع الكرستولوجى فى القرون الأربعة الأولى . أما معلمو القرنين الرابع والخامس فلم يتنازعوا على مشكلة وجود اللاهوت فى الناسوت ؛ أو على حقيقة ناسوت المسيح ، بل أن النزاع العقائدى الكرستولوجى بدأ يدور حول

---

* كلمة ارثوذكس تعنى ذو الرأى المستقيم : فعندما نستعمل هذا الاصطلاح نقصد به الذين نادوا وعلّموا بتعاليم صحيحة مستقيمة .

* كرستولوجية Christology أى التعاليم الخاصة بشخص المسيح وسنستخدمها دائماً فى هذا الكتاب للدلالة على هذا المعنى .

موضوع كيفية وطريقة إتحاد الطبيعتين فى يسوع المسيح : كيف يمكن أن يكون ابن الله وابن الإنسان فى آن واحد ؟ كيف تمّت عملية الإتحاد ؟ هل توجد طبيعتان أم طبيعة واحدة فى شخص المسيح يسوع ؟ ثم ظهرت مشكلة أخرى فى القرن الخامس : وهى لقب أم الله للقديسة العذراء مريم ، هل لقب أم الله يتفق وتعاليم الكتاب المقدس ؟ وهل يجوز لنا أن ندعوها أم الله ؟ وما رأى كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكيا وكنيسة روميه فيما يخص هذه الأسئلة وغيرها مما سنتعرض له فى هذا البحث ؟ ولكن قبل أن نبدأ فى دراسة هذا الموضوع نود أن نلفت نظر الدارس إلى النقاط الآتية :

١ – إن الذين يدرسون ويتخصصون فى تاريخ الفكر المسيحى ، يجدون صعوبات كثيرة وعديدة منها ، اللغات التى استخدمت فى كتابة هذه الكتب . فأغلب هذه الكتب كُتبت باللاتينية واليونانية ؛ وحتى معظم ما ترجم منها إلى الإنجليزية والفرنسية .. إحتفظ مترجموها فى كثير من الأحيان بالاصطلاحات اللاتينية أو اليونانية دون ترجمة . واتبع نفس الطريقة عدد كبير من العلماء فى كتابة النصوص الأصلية لاتينية أم يونانية ، دون ترجمتها ، كما لو كان كل الدارسين يجيدون هاتين اللغتين . وهذا ما أسميه بمرض العلماء . ولهذا السبب فقد حاولت جاهداً أن أترجم هذه الاصطلاحات التى سوف نتعرض لها فى بحثنا هذا إلى العربية مع الاحتفاظ بكتابة النص الأصلى فى بعض الأحيان ، حتى يستطيع الباحث العربى أن يتعرّف عليها . إذ أن الآباء ومعلمو العقائد إستعملوا إصطلاحات معينة ليعبروا بها عن معانٍ خاصة ومحددة . ولذلك يجب على كل دارس لتاريخ العقائد أن يتعرّف عليها . وسوف نتعرّض لكثير من هذه الاصطلاحات والعبارات فى هذا البحث .

٢ – ربما يلاحظ الدارس لهذا الكتاب نوعاً من التكرار من حين لآخر . إلا أنه تكرار مقصود . وذلك يرجع إلى حقيقة أن هذا الموضوع الذى نعالجه هنا جديد على البعض فى عالمنا العربى بنوع عام ، وعلى البعض فى كنائسنا الإنجيلية بنوع خاص . ولهذا فقد حاولنا أن نقدم المعلومات الخاصة بهذا الموضوع بعبارات مبسطة وبطريقة سهلة على قدر الإمكان . كما نضطر إلى التكرار فى بعض الأحيان ، حتى يستطيع الدارس أن يتابع الدراسة بطريقة منطقية ومنظمة .

٣ – إن دراسة تعاليم الآباء وكتاباتهم وحياتهم ، تعد من العلوم الأساسية المهمة التى تدرس فى الخارج ، ليس فقط فى كل كليات اللاهوت الكاثوليكية أو الأرثوذكسية ، بل فى كليات اللاهوت البروتستانتية أيضاً ، الأمر الذى نحتاج إليه فى كلياتنا فى الشرق .

٤ – لقد تعوّد البعض على ترجمة أو إستعمال بعض الاصطلاحات والعبارات المستعملة فى اللغات الاجنبية بطريقة حرفية وغير صحيحة ، لا بل مخلة تماماً من الناحية العقائدية عند ترجمتها واستعمالها فى اللغة العربية مثل :

paull's Theology, John's Theology, Father's Theology, Calvin's Theology, Karl Barth's Theology. etc....

ولقد ترجم أو إستعمل البعض هذه العبارات فى اللغة العربية كالآتى : « لاهوت بولس ، لاهوت يوحنا ، لاهوت الآباء ، لاهوت كلفن ، لاهوت كارل بارت » .. الخ . وإننا نعتقد بأن هذه الترجمة أو هذا الاستعمال لاصطلاح « لاهوت » هنا خطأ بل وخطر .

والخطأ كامن فى حقيقة أن المترجم أو الذى يستعمل كلمة Theology التى تذكرها المراجع الأجنبية ، لا يفرّق أو لا يميز عند ترجمتها إلى العربية بين كلمة Theology التى يقصد بها تعاليم أو مفهوم ، وبين كلمة Divinity التى يقصد بها لاهوت . فالاصطلاح اليونانى لكلمة Theology الإنجليزية هو θεολογος ويعنى الكلام عن الله ، والذى يتكلم عن الله يدعى زيولوجيان (أنظر A. Greek - English lexicon of the N.T. and other early christians literature. Walter baver's P.350) فإن كلمة « Theology » لا تعنى إذن « لاهوت » كما تعوّد البعض على إستعمالها ، بل تعنى الكلام عن الله ، أو التعليم ، أو العقائد ، أو المفهوم الدينى ، وهنا يظهر الفرق بين كلمة « Theology » التى تعنى عقائد أو تعاليم أو مفهوم وبين كلمة « Divinity » التى يقصد بها لاهوت .

ولذلك لا يليق ، لا بل أنه من الخطأ بأن نقول لاهوت بولس أو لاهوت يوحنا ... الخ . عندما نريد أن نستعمل كلمة « Theology » التى يقصد بها تعاليم بولس أو تعاليم يوحنا أو تعاليم الآباء أو تعاليم بارت أو بولتمان .. أما إذا أردنا أن نتكلم فعلاً عن اللاهوت : فإننا نترجم الجملة الآتية « The Divinity of Christ » إلى العربية بالقول « لاهوت المسيح » . ولكن إذا أردنا أن نتكلم عن تعاليمه وأفكاره فعندئذ نقول : « Jesus - christ's theology or teaching » تعاليم يسوع المسيح ..

والخطر فى هذا الخلط أننا عندما نقول : لاهوت بولس أو لاهوت بارت أو لاهوت بولتمان .. الخ . فقد يفهم البعض أننا نؤله بولس ويوحنا ، أو غيرهم من اللاهوتيين المعاصرين .

ومع اننا لم نفرق بين الاصطلاحين فى المجلد الأول ولكننا حاولنا فى هذا البحث أن نتجنب إستعمال الاصطلاح « لاهوت » لكلمة « Theology » بل نقول تعاليم أو مفهوم أو عقيدة .. الخ ... وفى بعض الأحيان وضعنا كلمة (لاهوت) بين قوسين لكى نلفت نظر القارىء إلى معناها الحقيقى .

٥ – إن أحد الأهداف التى يريد كاتب هذا الكتاب الوصول إليها هو حث الدارس العربى على دراسة تعاليم الآباء وتاريخ الفكر المسيحى . ولذلك فقد حاول أن يقدم للدارس كثيراً من المراجع الخاصة بكل موضوع يتعرض لمعالجته حتى يستطيع القارىء بدوره البحث والتنقيب والتوسع فى هذا الموضوع .

٦ – لا نقصد بهذا الكتاب أن نهاجم أى كنيسة ، بل نود أن نقدم بحثاً تاريخياً علمياً محايداً لكى نستطيع بنعمة الله أن نعرف ما هى التعاليم الصحيحة والمستقيمة التى تتفق مع الكتاب المقدس ، ومع تعاليم الآباء الذين رجعوا إلى الكتاب وإلى بعض نصوص التقليد التى تتفق مع الكتاب .

فى هذا البحث سوف نتعرض لدراسة بعض العقائد الخاصة بشخص ربنا يسوع المسيح ثم لبعض المجامع وقراراتها . وهنا نلتمس من القارىء المحبوب بأن يكون واسع الصدر ومرناً ، حتى نستطيع أن نناقش بروح المحبة والصلاة ، النقاط التى لا نتفق فيها معاً . ولتكن دراستنا موضوعية وأمينة ومخلصة ومجردة من كل نزعة طائفية ، بل هدفها البحث العلمى والحياد النزيه .

٧ – إن كنيسة اليوم تمرّ فى فترة عصيبة وحرجة للغاية . فإن المادية والإلحادية ؛ والهجمات المتشنجة نريد أن نلاشيها من الوجود . أمام هذه الأبواب الجهنمية التى تريد سحق الكنيسة وملاشاتها ؛ يدعونا رب الكنيسة بأن نكون وحدة واحدة ويداً واحدة مهما إختلفت أفكارنا وتنوعت تفسيراتنا ، ولكن إيماننا واحد لأننا نؤمن جميعاً برب واحد وسيد واحد يسوع المسيح الذى يريدنا أن نحقق على إختلاف طوائفنا ، صلاته : « ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وانا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم انك ارسلتنى » (يو ١٧ : ٢٠ – ٢٢) .

المـؤلف

الجـــزء الأول

الفصـــل الأول

هرطقة أبولوناريوس

L'hérésie d'Apollinaire

من هو أبولوناريوس ؟ هل يعتقد بوجود روح بشرية فى المسيح ؟ هل كان يرى فى يسوع من الناحية البشرية إنساناً كاملاً مكّوناً تكويناً بشرياً أو نتولوجياً كاملاً ، أى من نفس بشرية وروح عاقلة وجسد ؟ أو إنه إعتقد بأن اللوغوس الكلمة حلّ محل الروح البشرية فى الجسد ؟ .

إن أبولوناريوس أنكر فى تعاليمه الكرستولوجية وجود روح بشرية فى المسيح وهو يعتقد بأن الكلمة ، اللوغوس ، ابن الله ؛ قد حلّ أثناء عملية التجسد فى جسم أو فى جسد بدلاً من الروح البشرية . وقبل أن ندخل فى صميم الموضوع من الناحية التعليمية العقائدية ، لدراسة أفكار أبولورناريوس ، يستحسن أن نلقى نظرة ولو سريعة على تاريخ الرجل والوسط الذى نشأ فيه .

حيـــاتـــه

وُلِدَ أبولوناريوس حوالى سنة ٣١٠ ب . م على ما يعتقد تيكسيرونت[1] . أما فوازن Voisin فيظن بأنه من الصعب أن نحدد بالضبط تاريخ ميلاده ، ولذلك فهو يقول وُلِدَ أبولوناريوس فى سنة ما من العشرات الأولى من القرن الرابع[2] ولقد نشأ وتربى فى عائلة

1. J. Tixeront, Précis de Patrologie 4e Edi.. Paris. Librairie Lecoffre.
2. Guillaume Voisin: L'apollinarisme: étude Historique Litteraire, et Do gmatique. Surle dé but des controveres Christologiques Au 4e siecle ... p.32.

مثقفة جداً ، فان أباه ويدعى أيضاً أبولوناريوس ، وهو من أصل مصرى ، كان يدّرس علم القواعد والخطابة فى بريت (بيروت Beryte) ومنها إنتقل إلى مدينة لاودكّية أو اللاذقية فى سوريا حيث وُلِدَ ابنه أبولوناريوس . كان أبولوناريوس الأب كاهناً لمدينة لاودكّية ، ولقد إمتاز كل من الأب (الكاهن) والابن القارىء فى الكنيسة باجادة علم الخطابة والقواعد والفلسفة والشعر . لا بل أن أبولوناريوس الابن كان يدّرس هو أيضاً فن الخطابة فى مدينته فى عهد الأسقف ثيودوتوس (Theodote) كما يعلمنا ذلك المؤرخ سقراط[٣] وكان كل منهما شغوفاً بالإستماع للفيلسوف الحكيم الوثنى أبيفانينوس (Epiphane) وخاصة عندما كان ينشد أشعاراً لباخوس ، وعلى ما يظن بأن هذا الفيلسوف أصبح تلميذاً لأبولوناريوس[٤] ولقد ثار أسقف اللاذقية ثيودوتوس ، (توفى سنة ٣٣٥) ضدهما وقطعهما من الكنيسة بسبب علاقتهما بابيفانوس . وعندما تولى جورجيوس خلافة كرسى اللاذقية قُطِعَ أبولوناريوس ، ولكن هذه المرة لسبب آخر ، لأنه قد إستقبل بحفاوة عظيمة أثناسيوس عند مروره بمدينة اللاذقية فى سنة ٣٤٦[٥] ومن هذا التاريخ أصبح هذان الرجلان صديقين عظيمين . فمنذ هذه المقابلة ، أصبح هذا الخطيب الشاعر العالم مناضلاً جنباً لجنب مع القديس أثناسيوس ضد الذين رفضوا قانون الإيمان النيقوى . إذ أنه تمسك مدافعاً بشدة وإيمان عن إقرارات الإيمان التى أقرها مجمع نيقية (فى سنة ٣٢٥) والتى دافع عنها أيضاً القديس أثناسيوس . كانت روابط الصداقة والاحترام بين الرجلين قوية وعميقة لدرجة أن أبولوناريوس كان يقدم أثناسيوس معجباً وفخوراً به[٦] كمعلمه .

وعلى ما يبدو أن الحزب الأرثوذكسى المؤيد لقرارات مجمع نيقية هو الذى إختار أبولوناريوس الصغير أسقفاً عليهم فى سنة ٣٦٠[٧] ومع أن الأسقف كان مقيماً فى لاودكية إلا أنه كان يذهب كثيراً إلى مدينة أنطاكية ، لا بل قام بتأسيس مدرسة تفسير هناك . فإن الانطاكيين يُعتبرون من الأوائل الذين قبلوا تعليمه ونادوا بها . والذى ساعد أبولوناريوس على تأسيس مدرسة تفسير فى أنطاكية ونجاح هذه المدرسة ، هو إنقسام الكنيسة وشهرة الأسقف ومقدرته على تفسير الكتاب . وبالرغم من أن تعاليمه كانت تخالف تعاليم أنطاكية من الناحية العقائدية ، إلا أنه كان يتفق معها فى الناحية الفلسفية والتفسيرية . فلقد إستطاع أن يجذب إليه وإلى مذهبه الكثيرين عن طريق تمكّنه من الفلسفة وتعمقه فى الشرح والتفسير ، وممارسته لحياة التقوى والزهد والتقشف[٨] .

---

3 Socrate Hist... eccl.. 1.11,46

4. G. Voisin Op. Cit. P 32-40

5. G. Voisin Op. Cit. P 32-40

6. Athanase. Ep. Ad. Dioca. Es. Epp. Ed. Lietzmann. P. 255 - 256.

7. Philostorge. Hist. Eccl. V.1 8. Voisin. P. 70 - 82

كما كان يتمتع أيضاً بصفات الشجاعة والإقدام فى الدفاع عن المسيحية . فلقد كتب بالاشتراك مع أبيه عدة مؤلفات ، شعراً ونثراً لشرح العقيدة المسيحية التى منع الإمبراطور يوليانوس الجاحد التبشير بها فى عصره . وكان يعتبر من المدافعين الباسلين عن المسيحية فى عهد هذا الإمبراطور المرتد عن الإيمان ، والذى حكم من سنة ٣٦١ – ٣٦٣[٩] .

ومن المعروف أن هذه المؤلفات ساعدت عدداً كبيراً من المؤمنين فى تقوية إيمانهم وتثبيتهم فى المسيحية ؛ وفى الإيمان المسيحى .

كان أبولوناريوس شيخاً عندما كان القديس جيروم شاباً وطالباً فى مدرسة أنطاكية (سنة ٣٧٤ – ٣٧٩)[١٠] ويقول بانه تتلّمذ على يديه[١١] وكما أن العلماء لم يتفقوا على تحديد تاريخ معين لميلاده ، فإنهم لم يستطيعوا الوصول أيضاً إلى تحديد تاريخ موته . ولا نملك بخصوص هذا الموضوع إلا معلومات غير دقيقة . على أن جيروم يعرفنا بأنه مات أثناء حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩ – ٣٩٥)[١٢] ، كما أن كل من كاسيارى Caspari والعالم درَزيسك Draesesk يعتقدان بأن أبولوناريوس عمّر حتى سنة ٣٩٠ ب . م[١٣] .

البيئة التى نشأ فيها أبولوناريوس

رأينا فيما سبق الجو الثقافى الذى نشأ فيه أبولوناريوس الابن ، والتأثير العلمى والفلسفى الذى طبع شخصيته . هذا من الناحية العلمية والفلسفية ، على أن أبولوناريوس مرّ فى إختبارات أخرى من الناحية الدينية . فإنه كان يعرف جيدّاً التيارات التعليمية (اللاهوتية) العقائدية التى تنادى بها كل من مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية . فقد كان أبوه مصرياً ، كما كان هو نفسه صديقاً حميماً للقديس أثناسيوس وحليفاً مؤيداً له فى الدفاع عن قانون إيمان وقرارات مجمع نيقية : ولأنه كان أيضاً من المتمسكين بقانون إيمان نيقية وقراراته ؛ إختارته كنيسة لاودكية اسقفاً عليها .

---

9. M.E. Haag Histoire des Dogmes Chretiens Pre Partie.. Hist. Générale.
10. Epistala Ad Panmachoum Et Oceanum. Dans Migne. P.L.T. 22 Lettre 84e
11. J. Danielou Et H. Marron. Op. Cit. 381
12. Jerome. De Viris Illustibus 104.
13. G. Voisin P. 112

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هرطقة أبولوناريوس الخاصة بإنكاره لوجود روح بشرية فى المسيح ، يجدر بنا أن نلقى نظرة سريعة على التيارات التعليمية (اللاهوتية) التى كانت منتشرة فى عصره .

لقد ظن البعض بأن أسقف لاودكية كان الأول الذى أثار مشكلة وجود روح بشرية فى المسيح ، وبإنكاره لوجودها إخترع بدعة جديدة واختلق هرطقة لم تكن معروفة ، وكانت الكنيسة فى غنى عنها وخاصة فى هذا الوقت الذى إنقسمت فيه إلى أحزاب وشيع ومذاهب . وفى حقيقة الأمر ، إن أبولوناريوس لم يكن الأول الذى أنكر وجود روح بشرية فى المسيح ، على أنه كان الأول الذى طرح هذه المشكلة بطريقة واضحة ومنطقية وصريحة . وبناء على ذلك فإنه كان من الضرورى بأن تحدد الكنيسة موقفها من تعاليمه . وعندما ندرس تاريخ الكنيسة وتعاليم الآباء نلاحظ بأن أبيفانيوس (Epiphane) وآخرون يرجُعون أصل هذه البدعة إلى لوقيانوس[١٤] الذى أسس مدرسة تفسير فى أنطاكية . إذ أن أبيفانيوس يعتقد بأن لوقيانوس كان ينكر وجود روح بشرية للمسيح . وجاء بعد لوقيانوس مجمع نيقية ولم تُثر هذه المشكلة العقائدية فيه .

وكان هدف مجمع نيقية هو الوصول إلى عقيدة ثابتة أو قانون إيمان مُعترف به من الكنيسة كلها . وكان من المنتظر أن نرى الكنيسة بعد هذا المجمع ، واحدة فى إيمانها وعقيدتها . ولكن حدث العكس . فبعد إنفضاض المجمع رجع الأساقفة إلى أبرشياتهم وعلّم كل منهم بما كان يعلّم به سابقاً . لا بل أن الأحزاب الطائفية إزدادت وكُثرت ، فقد إنقسمت الكنيسة بعد مجمع نيقية إلى أحزاب ثلاثة وهى :

١ – حزب أثناسيوس أو حزب الأرثوذكسيين المتمسكين بقانون إيمان نيقية .

٢ – حزب الأريوسيين ، وكان على رأس هذا الحزب فى بدايته إسابيوس النيقوميذى ، قبل أن يغير اتجاهه جزئياً .

٣ – ومن هذين الحزبين نشأ الحزب الثالث الذى يُدعى الحزب النصف الأريوسى . وكان يرأس هذا الحزب يوسابيوس القيصرى ، ولقد تكّون هذا الحزب من الذين رفضوا عقيدة وتعاليم أثناسيوس . ولقد حاول أتباع هذا الحزب أن يجدوا حلاً وسطاً للمشكلة الكرستولوجية . ولذلك فقد علّموا بأن الابن هو صورة الله ، بل هو الله بالطبيعة ، ولكنه ليس من طبيعة الله الآب . ولقد رفضوا – متبعين فى ذلك الأريوسيين – إصطلاح « مساو للآب فى الجوهر »[١٥] . هوموسيوس (Homoosios) .

---

14. Epiphane.. Ancoratus 33. (Edi K. Holl, GCS, 1,42, PG. 43.

١٥ – الدكتور القس حنا جرجس : تاريخ الفكر المسيحى المجلد الاول ٦٣٦ – ٦٣٨

إن الأريوسيين لم يرفضوا إصطلاح « مساو للآب فى الجوهر » فحسب ، بل رفضوا أيضاً عقيدة وجود روح بشرية فى المسيح . وهنا ربما يسأل القارىء ، هل كان أبولوناريوس أريوسياً ؟ كلا فإن أبولوناريوس كان من الذين يتمسكون بقانون إيمان نيقية ويدافعون عنه مع القديس أثناسيوس ، وسوف نرجع إلى هذه المشكلة فيما بعد عند الكلام عن عقيدة أبولوناريوس فى الروح .

أنكر الأريوسيون منذ ظهورهم وجود روح بشرية فى المسيح . والغريب أن الكنيسة ظلت طوال هذه المدة دون أن ترفع صوتها ضد هذه التعاليم . فلقد قاومت عقيدة بولس السموزاطى ولوقيانوس وعقائد أخرى كثيرة ، إلا أنها إلتزمت الصمت إزاء هذه العقيدة ، مدة طويلة . والقديس أغسطنيوس نفسه يندهش هو أيضاً من صمت الكنيسة على هذه العقيدة الخطيرة ؛ فإن كان بعض الآباء ذكروها ، فإنهم لم يقاوموها بالطريقة التى كان يجب أن تُقاوم بها . فإن ديديموس (Didyme) الإسكندرى وهيلير (Hilaire) وامبرواز (Ambroise) وثيودوروس بعد ذلك يذكرون بأن الأريوسيين ينكرون وجود روح بشرية فى المسيح . ولقد ظهرت هذه العقيدة بطريقة أوضح فى الجيل الثانى لأريوس . ففى إقرار الإيمان الذى قدمه إنوميوس (Eunomius) وهو أحد أتباع أريوس (سنة ٣٢٠ – ٣٩٢) إلى الامبراطور ثيودوسيوس فى سنة ٣٨٣ ، يقول فيه « وفى آخر الأيام جاء فى جسد ... ولم يكن إنساناً (Man - Homme) مكّونا من روح وجسد .. »[١٦] .

هذا القول يدل على أن الأريوسيين كانوا لا يعترفون بوجود روح بشرية فى المسيح ، وهو نفس التعليم الذى علّم به لوقيانوس الأنطاكى بحسب شهادة إبيفانوس الذى يقول « إن لوقيانوس وأتباعه ينكرون أن ابن الله أخذ روحاً ويقولون بأنه لم يأخذ إلا جسداً .. »[١٧] . والتاريخ يسجل لنا إقرار إيمان آخر علّم به ادوكسيوس (Eudoxiux) أسقف إنطاكيا من سنة ٣٥٧ – ٣٥٩ وأصبح أسقفاً للقسطنطينية من سنة ٣٦٠ – ٣٦٩ وكان صديقاً لأنوميوس ويقول فى هذا الإقرار : « الابن صار **جسداً** ولكنه لم يصر **إنساناً** ، ولم يأخذ **روحاً بشرية** . فلا يوجد فى المسيح طبيعتان بل طبيعة واحدة مركبة » إن ادوكسيوس يستعمل التعبير صار جسداً ولم يصر **إنساناً** . هو نفس التعبير الذى استعمله فيما بعد أبولوناريوس . فهو يعتقد بأن الابن أخذ جسداً مجرداً من الروح البشرية : أى مجرد من جسد : وهذا الجسد لا يمكن أن نسميه

16. J. Liebaert. Hist. des Dogmes. L'incarnation 1 des Origines au concile de chalce doine les Editions du cerf. P. 114.

17. A grillmeier 215.

انساناً . لأن الإنسان يتكون من روح بشرية عاقلة وجسد . ولهذا السبب فإننا نجد أبولوناريوس يقول فيما بعد فى تفسيره ليوحنا ١ : ١٤ « والكلمة صار **جسداً** » أن الكتاب لا يقول والكلمة صار **إنساناً** . بل صار **جسداً** وهذا الجسد بدون روح بشرية لأن الكلمة = اللوغوس حلّ فى هذا الجسد محلّ الروح البشرية العاقلة . ثم توجد شهادة أخرى تبيّن لنا بما لا يدع مجالاً للشك بأن الأريوسية كانت تنكر وجود الروح البشرية فى المسيح . وهى شهادة أستاثيوس الأنطاكى (Eustathe d'Antioche) فهو يقول عند حديثه عن الأريوسيين « لماذا يحاولون جاهدين إثبات أن المسيح أخذ جسداً بلا روح ؟ »[١٨] وفى مكان آخر يقول عندما يتكلم عن الطبيعتين فى المسيح : عن لاهوته وعن ناسوته « يجب أن ننسب هذه الأشياء إلى الإنسان المركّب من الروح والجسد »[١٩] . وجدير بالذكر أن إستاثيوس كان من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية وهو أيضاً ضد الأريوسية .

والغرض من الاقتباسات السابقة هو توضيح فكرة أن إنكار وجود روح بشرية فى المسيح قد ظهرت قبل ظهور أبولوناريوس وتعاليمه . وهنا يمكن القول بأن الأبولوناريوسية ظهرت قبل ظهور أبولوناريوس نفسه . ولهذا السبب يقول غريغوريوس النازياترى فى خطابه الثانى إلى كلّدونيوس بان الهرطقات الأبولوناريوسية رأت النور منذ ثلاثين سنة قبل هذا التاريخ[٢٠] أى قبل أن تبدأ المناداة رسمياً بالأبولوناريوسية . فقبل أن يعلّم أبولوناريوس بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، كانت هذه التعاليم معروفة ومنتشرة جزئياً وكل ما عمله أبولوناريوس هو أنه درس هذه الأفكار التى كان البعض منها معروفاً ومنتشراً فى الكنيسة ، ثم المناداة بها علانية . ومن المدهش كما يقول القديس أغسطينوس بأن الكنيسة المتمسكة بقانون إيمان نيقية التزمت الصمت هذه المدة الطويلة دون أن تقاوم هذه البدعة . صحيح أن أستاثيوس (Eustathe) الأنطاكى قد بدأ مهاجمتها فى وقت مبكر معلناً خطورتها ، ولكن بالرغم من ذلك لم تتنبه الكنيسة لهذه البدعة قبل سنة ٣٦٢ . ومن الغريب أيضاً أن القديس أثناسيوس الذى يعتبر بطل هذه الفترة التاريخية والذى قاوم بإيمان وثقة أباطرة وأساقفة منادياً بالتعليم الصحيح ضد الهرطقات الأريوسية ، لم يتكلم عن هذه الهرطقة . وإن الذى يدرس كتاباته وخاصة كتابه الذى يدعى « ضد أريوس » (Contra

18. A Grillmeier. 220

19. Eustathe d'Antioche de Anima ced. M. Spanneut Recherches 100,Is. Frag. 41. 108.

20. A. Grillmeier P. 257.

Arianos III) والذى فند فيه الآراء الأريوسية الخاطئة ورفضها ، لا يلاحظ لا تصريحاً ولا تلميحاً أى هجوم أو إنتقاد لعقيدة إنكار وجود روح بشرية فى الـ ـسى كان يعلم بها الأريوسيون . ولم يذكر لا من قريب ولا من بعيد فى هجـ ـى تعاليم أريوس وأتباعه هذه العقيدة . والانتقادات التى وجهها أثناسيوس ضد التعاليم الأريوسية كانت مركزة على حقيقة أن هذه البدعة تنكر مساواة جوهر الآب بجوهر الابن . لا بل أكثر من ذلك . فإن القارىء لكتاباته يشعر كما لو كان متفقاً معهم فى فكرة أن المسيح مثل الآخرين . وما انتقده فى تعليمهم هو أنهم رأوا فى المسيح إنساناً وإنساناً فقط: أى أنه ليس مساوياً للآب فى الجوهر ويقول م . ريشارد M. Richard : « إن (أثناسيوس) لا يتكلم فى كتاباته – ضد الأريوسية – عن روح المسيح ، كما لم ينتقد البتة تجاهل الأريوسيين لوجود روح فى المسيح »[٢١] . والسؤال الذى يفرض نفسه فرضاً هو : هل كان أثناسيوس لا يؤمن فعلاً بوجود روح بشرية فى المسيح ؟

إن الدارس المدقق لتاريخ الفكر المسيحى لهذه الحقبة يلاحظ بلا عناء أن الخطر الظاهر الذى كانت تتعرض له الكنيسة هو إنكار لاهوت الابن أو بالمعنى الدقيق عدم إعتراف الأريوسيين بمساواة الآب والابن فى الجوهر . فلقد علّم الأريوسيون بأن :

١ – الابن ليس أزلياً وأنه وجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه .

٢ – الابن هو خليقة الله مثل كل الخلائق الأخرى ؛ إلا أنه سابق لها .

٣ – الابن ليس من جوهر الآب .

٤ – الابن متغير وليس ثابتاً .

٥ – وصل الابن إلى درجة اللاهوت عندما رفعه الله لهذا الدرجة «وليس ابناً بالطبيعة[٢٢] .

ثار الآباء المحافظون وعلى رأسهم القديس العظيم أثناسيوس . الذى هاجم هذه التعاليم التى كانت تخالف الكتاب المقدس والتقليد القديم الموروث من الرسل ومن الكنيسة ومن الآباء . ولهذا فإن هجوم أثناسيوس كان مركزاً كلياً وجزئياً على هذه المشكلة الحساسة جداً ، وهى مساواة الابن للآب فى الجوهر : منادياً بأن الابن من نفس وذات جوهر الآب . ولأن هذه المشكلة كانت أحد الأسباب الأساسية التى من أجلها إنعقد مجمع نيقية

---

21. J. Liebaert P. 131

٢٢ – انظر كتابنا تاريخ المسيحى المجلد الاول ص ٦١٨ – ٦٢١

فى ٣٢٥ فقد إنشغل بها المعلمون أكثر من أى مشكلة عقائدية أخرى فى ذلك الوقت . فلا غرابة إذا إن كنا نرى القديس أثناسيوس يتكلم كثيراً عن هرطقة الأريوسيين الخاصة بلاهوت الابن دون أن يذكر إنكارهم للروح البشرية فى المسيح . فلم تكن هذه المشكلة منتشرة ومعروفة على نفس مستوى التعاليم الخاص بمساواة ابن الله بأبيه فى الجوهر .

فمع أن القديس أثناسيوس لم يتكلم بطريقة واضحة وصريحة عن وجود روح بشرية فى المسيح إلا أنه لم يتكلم قط بطريقة واضحة وصريحة أيضاً ، كما فعل الكثيرون عن عدم وجود روح بشرية فى المسيح . ومن المعروف بأن المجمع الذى عقد فى الإسكندرية فى سنة ٣٦٢ ، ويحتمل أن الذى رأسه هو القديس أثناسيوس العظيم ، قد سجل جملة مهمة جداً بخصوص هذا الموضوع . « لا يخلص فى الإنسان إلا ما قد أخذه المسيح من الإنسان[٢٣] فبغض النظر عن كل ما حدث فى هذا المجمع وعن غموض بعض قراراته ، فإن هذه الجملة كما يقول دانيالو (Danielou) ضد التعاليم الأبولوناريوسية التى تنكر وجود روح بشرية فى المسيح . ومع أن المجمع لم يصدر حكماً رسمياً بإدانة أبولوناريوس ، فإننا نجد أن المجمع – وعلى رأسه القديس أثناسيوس – يعترف بهذه العقيدة (وجود روح بشرية فى المسيح) : فقوله « لا يخلص فى الإنسان إلا ما قد أخذه المسيح من الإنسان » يعنى بأن الكلمة أخذ روحاً وجسداً : أى أخذ الإنسان كله ، ولم يأخذ جسداً فقط بدون روح . وإلا لأصبح الفداء الذى قدمه المسيح بموته ، للأجساد فقط وليس للأرواح . وبما أن الإنسان تكّون من روح وجسد فالمسيح يخلص الروح والجسد أيضاً .

ومن هنا يتضح بأن معلم الإسكندرية العظيم لم ينكر وجود هذه الروح البشرية فى المسيح كما اتهمه البعض بذلك بل أنه لم يعر اهتماماً كافياً لبعض النقاط فى تعاليم الأريوسيين الخاصة بهذا الموضوع . ولا ننسى الإشارة إلى أنه قد نبّر فى تعليمه على أن صيرورة الكلمة إنساناً ، لا تتحقق عندما يأخذ الكلمة أو يلبس الكلمة إنساناً ما ، بل تتحقق هذه العملية عندما يصبح الكلمة نفسه فعلاً إنساناً[٢٤] .

مما سبق شرحه نريد أن نلفت نظر الدارس إلى نقطتين هامتين :

١ – إن أبولوناريوس لم يكن الأول الذى أثار هذه المشكلة الكرستولوجية .

٢ – إن أثناسيوس لم ينكر وجود روح بشرية فى المسيح العقيدة فى كتاباته ، كان القديس أثناسيوس لا يجهل ولا ينكر ، كما ظن البعض ، وجود روح بشرية فى المسيح ، بل أنه لم يعر إهتماماً كافياً لبعض النقاط فى تعاليم الأريوسيين الخاصة بهذا الموضوع .

---

23. Dañielou C.P. Cit. P. 382.

24. St. Athanase. Contra Arianos 3,30, P.G. 26,388A, 3,47.

الفصـــل الثـــانـى

تعاليم أبولوناريوس

« من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » هذا هو محور كتابنا هذا . وقد حاول الأشخاص والجماعات والكنيسة أن يعطوا جواباً لهذا السؤال . ولقد كانت الإجابات العديدة المختلفة التى أجاب بها البعض على هذا السؤال سبباً فى « سقوط وقيام الكثيرين » فإن أبولوناريوس أسقف لاودكية ، قد حاول هو أيضاً بدوره أن يجاوب على هذا السؤال الذى طرحه السيد على تلاميذه . كان أسقف لاودكية رجلاً تقياً عالماً ، لا بل أنه كان يتألم أيضاً للانشقاق الذى مزّق الكنيسة العامة فجعلها أحزابَ وطوائفَ يتمسك كل منها بتعاليم معينة ويهاجم تعاليم الحزب الآخر . ولقد سبق أن أشرنا إلى الثلاثة أحزاب المنتشرة فى الكنيسة بعد الإنقسام الأريوسى وهو :

١ – حزب أثناسيوس .
٢ – حزب الأريوسيين .
٣ – حزب نصف الأريوسيين .

وكان أبولوناريوس من أتباع حزب المحافظين أو المتمسكين بقانون وقرارات مجمع نيقية . فهو يؤمن ويعلّم بأن ابن الله أو الكلمة مساو للآب فى الجوهر ، وهو الذى يقول عنه الرسول « ... عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح .. » (اتيمو ٣ : ١٦) فلقد رفض أبولوناريوس مثل صديقه القديس أثناسيوس العقيدة الأريوسية ونصف الأريوسية . إذ نادت الأريوسية بأن الابن ليس أزلياً . فقد وجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه وهو أول خلائق الله (كو ١ : ١٥) لقد علّموا بأن المسيح إله ، ولكن هذه الألوهية لم تكن إلا منحة من الله للمسيح . فإن كان الله قد رفّعه وأعطاه اسماً فوق

كل اسم (فى ٢ : ٩) فهذا يرجع إلى تدخل الله الذى رفعه إلى هذه الدرجة وليس لطبيعة المسيح أصلاً ، ومساواته للآب فى الجوهر . فإن الابن أصبح ابنا بالتبنى وليس بالطبيعة .

أما أتباع حزب النصف الأريوسية فقد حاولوا أن يجدوا حلاً وسطاً للمشكلة الكرستولوجية . ولذلك فقد علّموا بأن الابن هو صورة الله . بل هو إله بالطبيعة ، ولكنه ليس من طبيعة الله الآب ، كما أنهم رفضوا كما فعل الأريوسيون المتطرفون إصطلاح « مساو للآب فى الجوهر = هوموووسيوس » (Homoosios)[1] . فإن أتباع هذا الحزب قبلوا فكرة أن الابن هو إله بالطبيعة ، ولكنه ليس من طبيعة الآب . وهذه العقيدة تعتبر حلاً وسطاً للنزاع الذى كان قائماً بين المتمسكين بقانون إيمان نيقية وبين الرافضين له . ومع ذلك لا تعتبر الحل الصحيح . لأن الفرق شاسع وواسع بين فكرة أن الابن هو إله بالطبيعة وبين فكرة أنه من طبيعة وجوهر الله الآب : هذا يعنى بأن الابن هو إله أى من طبيعة إلهية مثل الآلهه الأخرى . ولكنه ليس من نفس الطبيعة التى منها الآب . ولهذا فقد رفضوا إستعمال إصطلاح مساو لله فى الجوهر . ورفض أبولوناريوس بشدة عقيدة الأريوسيين المتطرفين والمعتدلين معاً واتفق مع القديس أثناسيوس فى عقيدة مساواة جوهر الابن وازليته بجوهر وازلية الآب .

إذا كان أسقف لاودكية متفقاً فى هذه النقطة مع القديس العظيم أثناسيوس ، وإذا كان قد نادى بها ، فأين الخطأ إذاً ؟ وما هى هرطقته ؟ كان أبولوناريوس كما سبق الإشارة إلى ذلك رجلاً تقياً متمسكاً بتعاليم وقرارات مجمع نيقية ، وكان يريد مخلصاً أن يجد حلاً صحيحاً للمشكلة الكرستولوجية التى قسست الكنيسة فى عهده . ولحل هذه المشكلة فقد نادى بتعاليمه الخاصة بتجسد الكلمة فى جسد بدون روح بشرية . إذ أن اللوغوس ، الكلمة يحل محل الروح البشرية فى الجسد . فهو يعتقد بأن الكلمة المُتجسد ، اللوغوس ، ابن الله قد تَجسّد فى بطن مريم العذراء وأخذ جسداً . على أن هذا الجسد الذى أخذه الكلمة هو جسد فقط بدون روح بشرية . لأن الكلمة أو اللوغوس حلّ محل الروح البشرية فى المسيح . فالمسيح بحسب المفهوم الأبولوناريوسى مكّون من الكلمة ، اللوغوس ، ثم الجسد أو جسد بدون روح بشرية . وفى بعض الأحيان كان يرى فى المسيح : الكلمة والنفس الحيوانية ، الجسد . طبعاً بدون روح عاقلة . لأن الكلمة أو اللوغوس أخذ مكان الروح العاقلة . ولقد كتب يقول « إنه من المستحيل أن كائنين روحيين ومتمتعين بالحرية ، يسكنان معاً ، لأن رغبات وطاقات الواحد تتعارض مع رغبات وطاقات الآخر . وبناء على ذلك فإن الكلمة لم يأخذ روحاً بشرية[2] ولقد إتفق

---

١ - دكتور حنا جرجس المجلد الاول من ص ٦١٨ - ٦٣٣

2. Cité Par J. Liebaert P. 145

معظم العلماء على أن أبولوناريوس تأثر تأثيراً كبيراً وواضحاً بالأفلاطونية ، فلا يغيب عن البال بأنه كان واسع العلم ومطلعاً على فلسفات مختلفة وعديدة . ومن المعروف بأن الفلسفة الأفلاطونية نادت بأن الإنسان مكّون من ثلاثة عناصر : الجسد ، النفس ، الروح . وأمام الإنقسام حول مشكلة المسيح . أراد أبولوناريوس إستخدام هذه النظرية الفلسفية . وبناء عليه فقد علّم بأن للمسيح ثلاثة عناصر : الجسد والنفس واللوغوس . ولكى يثبت أن الإنسان مكّون من ثلاثة أجزاء روح ونفس وجسد رجع إلى الكتاب المقدس « وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح » (اتسا ٥ : ٢٣) . فبالرجوع إلى هذه الآية الفريدة فى العهد الجديد ، وبالاعتماد على الفلسفة الأفلاطونية الثلاثية ؛ إستنتج أبولوناريوس نظريته . وعندما حاول تطبيق هذه النظرية على شخص المسيح ، فقد رأى أن المسيح **مكّون هو أيضاً من هذه الأجزاء** : الجسد والنفس = التى يسميها النفس الحيوانية أو السفلى ثم اللوغوس . فإن اللوغوس حلّ فى الجسد محل الروح . فالمسيح بحسب المفهوم الأبولوناريوسى هو إذن مكوّن من الكلمة ، الذى أخذ مكان الروح العاقلة فى المسيح ومن النفس الحيوانية ثم من الجسد . والشذرات التى وصلت إلينا من كتاباته تبيّن لنا بوضوح بأن أسقف لاودكية كان ينكر وجود روح بشرية فى المسيح ، فلا يمكن القول إذن بأن المسيح كان إنساناً من الناحية الانثروبولوجية : أى من ناحية التكوين البشرى ؛ لأن الروح البشرية الموجودة فى كل إنسان غير موجودة فى المسيح . فالكلمة المتجسد لم يصر **إنساناً** بل صار **جسداً** . لأن الإنسان مكّون من روح ونفس وجسد وبما أن المسيح خالٍ من الروح البشرية فلا يمكن أن نقول بأنه صار إنساناً ، بل بحسب المفهوم الأبولوناريوسى يجب القول بأن الكلمة صار **جسداً** وليس **إنساناً** ، ولكى يؤيد هذه الفكرة فقد رجع إلى قول الرسول يوحنا « والكلمة صار جسداً » فعندما يشرح هذه الآية يقول بأن الرسول يوحنا لا يقول بأن الكلمة صار جسداً[٣] فإن اللوغوس ابن الله الأزلى قد اتحد بنفسه عند التجسد ، جسداً بدون روح بشرية عاقلة . وفى اتخاذه هذا الجسد فقد حلّ محل الروح البشرية العاقلة . فالمسيح إذن بلا روح بشرية عاقلة لأن الكلمة يقوم بهذا الدور فى المسيح .

وفى شرحه للميلاد العذراوى حاول أن يبيّن أن الروح الإلهى أو الكلمة هو الذى حلّ محل النطفة الذكرية التى هى مصدر الحياة أو التى يُخلق منها الجنين[٤] . إن هذا التعليم يقود إلى تجريد المسيح تماماً من الناسوت ويقود أيضاً إلى الاعتراف بأنه لم يكن إنساناً

3. G. Voisin P. 365 - 367, 401

4. J. Kelly 303 - 304

حقيقياً كاملاً بل كان شبه إنسان[٥] فمع أنه أخلى نفسه ... (فى ٢ : ٥ - ١١) ولكنه لم يتخل لا عن اللاهوت أو عن الناسوت[٦] .

إن هرطقة أبولوناريوس كامنة إذاً فى رفضه لوجود روح بشرية فى المسيح .. ولقد سبق أن رأينا بأن أبولوناريوس نشأ وتربى فى جو أريوسى ، فبالرغم من أنه رفض تعاليمهم وقاومها بشدة ، إلا أنه تأثر بها وهذا واضح فى تعاليمه وأفكاره لوجود روح بشرية فى المسيح . فهو ينادى بنفس التعاليم التى علّم بها أنوميوس أحد أتباع أريوس فى قوله « وفى آخر الأزمان جاء فى جسد .. » .

والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو : لماذا أنكر أسقف لاودكية وجود روح بشرية فى المسيح ؟ وما خطورة هذا التعليم من الناحية العقائدية ؟ لقد اتفق كل المعلمين تقريباً على أن أبولوناريوس - أنكر وجود روح بشرية فى المسيح وأن الكلمة قام بهذا الدور فيه[٨] إلا أن البعض يرى بأنه علّم بهذه التعاليم فى بدء حياته ثم ترك التشديد عليها فيما بعد ، وخاصة بعد أن قبل النظام الثلاثى . وهذا رأى فوازن (Voisin) الذى يظن بأن أبولوناريوس علّم فى بداية حياته بأن المسيح لم يأخذ فى التجسد إلا جسداً ، ولكنه عندما قبل عقيدة الثلاثية (Trichotomisme) = (أى أن الإنسان يتكّون من الروح والنفس والجسد) قَبِلَ وجود الروح فى المسيح . ففى بداية كتاباته لا يذكر إلا عنصرين وهما النفس السفلى والجسد . والنفس السفلى بالنسبة له تعنى فى أحيان كثيرة جزءاً من المادة[٩] . على أى حال إن إنكار أبولوناريوس لوجود روح بشرية فى المسيح أمر مسلم به حتى الآن . وهنا نرجع إلى السؤال السابق وهو لماذا لم يقبل معلم لاودكية وجود روح بشرية فى المسيح ؟

كانت التعاليم المختلفة المتنوعة التى إنتشرت فى الكنيسة قبل وبعد مجمع نيقية سبباً من الأسباب المهمة جداً فى إنقسام الكنيسة فى عصره . لأن هذه الطوائف والأحزاب ، حاولت بأن تجاوب على السؤال الذى سأله السيد فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » (متى ١٦ : ١٣) وأبولوناريوس حاول هو أيضاً أن يقدم جواباً على هذا السؤال ، أو بالمعنى الأصح أنه فى غيرته وأسفه على الكنيسة المنقسمة ، أراد أن يقدم شرحاً أو حلاً لهذه المشكلة الشائكة المعقدة ؛ فهو لا يتفق مع الأريوسيين فى خفض الابن

---

5. Liebaert 146, 6 Kelly 302 - 307

٦ - مجموعة الشرح الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة . جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنانيا الياس كسّاب ص ب ١١٢٩٦٦ لبنان ص ٢٥٩ - ٢٦١ ، علم اللاهوت النظامى . دار الثقافة المسيحية ص ٤٣٢ . القاهرة ص ٧٨٧

8. Kelly 300 - 305, Voisin 288 - 290.

9. G. Voisin 288 - 290

إلى درجة مخلوق – أو أول الخلائق – وعدم مساواته فى جوهر الآب ، كما أنه لا يتفق أيضاً مع الأرثوذكسيين الذين يقبلون مسيحاً من روح بشرية وجسد بشرى . كما أنه لا يتفق مع بعض الانطاكيين الذين يقسمون المسيح إلى إثنين . ولقد إنتقد هذه الأحزاب فى خطاب ، يُحتمل بأنه كُتِبَ فى سنة ٣٧٦ أو فى سنة ٣٧٧ .[١٠] فلهذه الأسباب ولأسباب أخرى حاول أن يجد حلاً لهذه المشكلة الكرستولوجية . والحل الذى اقترحه على الكنيسة المنقسمة الممزقة فى ذلك الوقت أن الكلمة اللوغوس قد اخذ جسداً أو جسماً بدون روح بشرية .

لماذا رفض وجود عقيدة روح بشرية فى المسيح

١ – تجنباً للصراع الداخلى فى شخص المسيح :

إن أمر وجود روح بشرية عاقلة فى المسيح ، يفترض بأنه إنسان كامل وإله كامل : وهذا يعنى بأن الناسوت أو الإنسان الكامل = أقصد الكامل فى التكوين ، يتمتع بالحرية والإرادة فى التصرف وفى العمل وفى السلوك . لأن كل إنسان مكّون تكويناً طبيعياً كاملاً ؛ يتمتع بهذه الأشياء التى لا تتفق وإرادة وميول اللوغوس فى أحيان كثيرة عند إستعمالها . وهنا يبدأ الصراع والنضال وعدم التوافق وعدم الإنسجام بين اللوغوس كلمة الله ابن الله ؛ وبين الناسوت الذى حلّ فيه هذا اللوغوس . وهذا الأمر لا يمكن قبوله بأى حال من الأحوال فى شخص المسيح . وكيف يمكننا أن نقبل صراعاً ونضالاً وتناقضاً فى داخل شخص المسيح ؟!! لهذا السبب علّم أبولوناريوس بعدم وجود روح بشرية فى المسيح . فإن الإنسان المكّون من روح عاقلة ونفس حيوانية ، وجسد ، يشبه الإنسان الذى يتكلم عنه الرسول بولس (رو ٧ : ١٤ – ٢٥ ؛ غلا ٥ : ١٧) وهو الإنسان الذى يصارع ويناضل بطريقة مستمرة : الروح ضد الجسد والجسد ضد الروح . ويقول بونيفاس فى شرحه لتعاليم أبولوناريوس « إن الاعتراف بوجود روح بشرية للمسيح ، يسبب مشكلة صعبة . فإذا إحتفظت هذه الروح بحريتها وإرادتها ، فإنها ستكون فى صراع مع اللوغوس ، ومخالفة لإرادته . الأمر الذى لا يمكن قبوله فى شخص المسيح[١١] . والدارس المدقق لبعض كتابات أسقف لاودكية يلاحظ بلا عناء بأنه نّبر هو

10. Draeseke P. 381.

11. Bonifas T. 2. P. 90 - 92

وأتباعه على فكرة عدم وجود روح بشرية فى المسيح . وحجتهم فى ذلك بأن الروح تتمتع هى أيضاً بإرادة وحرية ، وبناء عليه فإنه من المستحيل جمع إرادتين : إرادة الإنسان الكامل التكّوين من روح ونفس وجسد ، ثم إرادة اللوغوس الساكن فيه . فإن وجود ناسوت كامل فى المسيح : أى وجود روح ونفس سفلى وجسد ، من ناحية ، ثم وجود الكلمة من ناحية أخرى ، قد يؤدى إلى الانحراف والانزلاق والابتعاد ، لا بل إلى الصراع الداخلى العنيف . ولهذا السبب ، وتجنباً للصراع الداخلى ، ينادى أبولوناريوس مشدداً بأنه لا توجد فى المسيح إلا إرادة واحدة وطبيعة واحدة مكّونة من روح واحدة هى الكلمة نفسه ، والإرادة الواحدة هى الإرادة الإلهية التى لا تتغير[١٢] . فتجنباً للصراع الداخلى بين الناسوت وبين اللاهوت : يعتقد أبولوناريوس أنه من الضرورى لا بل من المحتم بأن يحل الكلمة ابن الله أو اللوغوس فى جسد فقط بدون روح .

٢ – عصمة المسيح من الخطية

يرجع أسقف لاودكية عصمة المسيح وسمّوه وترفّعه وإبتعاده عن الخطية إلى عدم وجود روح بشرية فيه . فهو يقول ، لو قبلنا فكرة وجود الطبيعتين فى المسيح ، نقبل بالتالى وجود إرادتين متناقضتين ، كما نقبل أيضاً وجود الخطية الأصلية والخطية الفعلية فيه[١٣] ، ويقول بونيفاس بخصوص هذه النقطة ما ملخصه : لو كان فى المسيح روح بشرية ، لأصبح من المستحيل أن يكون قديساً ، لأن الخطية مرتبطة بنفس الإنسان البشرية . فحيث يوجد الإنسان توجد الخطية . ومصدر قداسة المسيح هو اللوغوس الذى حلّ محل الروح البشرية .. وأن الابن لم يأخذ الطبيعة البشرية الملوثة بالخطية ، ولكّنه أخذ الطبيعة البشرية الأولى . فإنه لم يصبح ابن آدم ، بل آدم الجديد[١٤] . واننا نلاحظ بأن أبولوناريوس قد ذهب أبعد من ذلك فى شرحه لعصمة المسيح عندما تكلم عن الميلاد العذراوى . فهو يعتقد بأن الروح الإلهى هو الذى حل محلّ النطفة الذكرية التى تعطى حياة للإنسان (Sperme)[١٥] . وهذا هو السبب فى كمال المسيح ؛ بحسب مفهوم أبولوناريوس . إذ أن الروح البشرية قابلة دائماً للسقوط ومعرضة للأفكار الشريرة والميول الفاسدة ، أما الكلمة فإنه غير متغير[١٦] .

والروح البشرية بحسب مفهوم أبولوناريوس هى مركز الشعور والرغبة والإرادة . فإذا كان جسد المسيح قد جُرِدَ من هذه الروح البشرية التى هى مركز الشعور والاحساس

12. G. Voisin P. 120, Kelly 306 - 307.
13. G.Voisin 354 - 455.
14. Bonifas Tome 2em 90 -92.
15. Kelly 302
16. Apol. Ep. Ad. Diocaes 2

والخطية أيضاً ؛ فلا يمكن بأى حال من الأحوال أن نقول بأن المسيح قد جُرب بالتجارب التى تُجرب بها الإنسان المكّون تكويناً عادياً وطبيعياً ، من روح عاقلة ونفس حيوانية وجسد . فإن عدم الاعتراف بوجود روح بشرية فى المسيح يعنى إزالة مركز الإرادة والسلوك والتصرف والشعور والحس . وبناء على ذلك فإن المسيح لم يتعرض فى حياته الأرضية للتجارب التى يتعرض لها الإنسان ، لأنه لم يكن إنساناً كاملاً ، ثم لأن اللوغوس كان يقوم بالدور الذى كانت تقوم به الروح البشرية فى قيادة الجسد المجرد من كل رغبة وإرادة وعمل . ومما لا شك فيه فإن هذا يتعارض مع المكتوب : فإن الله الكلمة قد ظهر فى الجسد ، ولم يكن الكلمة جسداً مجرداً من الروح البشرية كما علّم بذلك أبولوناريوس بل كان جسداً حقيقياً وكاملاً من حيث تكوينه الطبيعى البيولوجى والنفسى . ففى حزنه وفرحه وآلامه كان يضطرب بالروح . كما كان يحزن ويفرح كأى إنسان آخر مكوناً تكويناً طبيعياً وبيولوجياً ونفسياً بطريقة طبيعية كاملة . كان يشعر بهذه الأحاسيس والمشاعر والانفعالات ؛ لأنه كان إنساناً كامل التكوين . وبما أن يسوع كان فعلاً إنساناً كامل التكوين ، فقد جُرب فى بشريته كما يجرَب أى إنسان آخر . والرسول يعبر عن هذه الحقيقة بالقول « لأنه فيما هو تألم يقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٨) لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥ ؛ ٧ : ٢٦ ؛ ٩ : ١٤ ؛ يو ٨ : ٤٦ ، ٢ كو ٥ : ٢١ ، ١ يو ٣ : ٢٥) ويشدد كثيراً كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً : « من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شى » (عب ٢ : ١٧) فلو كان المسيح مجرداً من روح بشرية عاقلة ، التى هى مركز الحس والشعور ؛ لأصبح من المستحيل أن يكون مثل إخوته ومشابهاً لهم فى كل شىء . وربما يعترض البعض فيقول : إذا كان من الضرورى بأن المسيح يشبه إخوته فى كل شىء كان من الضرورى إذن أن يخطىء حتى تكون المشابهة كاملة . وهنا نرى عظمة يسوع وقداسته وسموه . فمع أنه كان يشبه إخوته فى كل شىء أى أنه كان مكوناً تكويناً كاملاً من الناحية النفسية والطبيعية ومعرضاً لكل أنواع التجارب التى يتعرض لها أى إنسان مثله . فهو الوحيد الذى إستطاع أن يقول ، متحدياً اليهود « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) وهذا لا يعنى بأى حال من الأحوال بأن الجسد والروح كانا لا يعملان فى المسيح كما يعملان فى أى إنسان آخر لدفعه للخطية ولارتكابها . بل أن المسيح كان مجرباً فى جسده وروحه كأى إنسان آخر . والرسول يقول : « ... فالله أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » (٨ : ٣ ؛ غلا ٣ : ١٣) .

فإنتصار المسيح على الخطية وقهره لها ، لا يرجع بأى حال إلى غياب الروح البشرية منه ، كما يعتقد ذلك أبولوناريوس ، بل يرجع إلى حقيقة واحدة ، وهى أن الذى كان

يعمل فى هذا الإنسان يسوع الناصرى الذى هو من روح عاقلة وجسد طبيعى ؛ هو اللوغوس ، ابن الله الكلمة الذى حلّ فى هذا الإنسان . فقداسة يسوع وكمال تصرفاته وسمو أخلاقه ومثالية حياته ، لا ترجع إلى غياب الروح منه ، ولا حتى لغياب العامل الذكرى فى الحمل به من عذراء . ومع أنه حُبل به فعلاً من عذراء بطريقة معجزية ، لكن السبب الحقيقى فى كماله هو « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » . يعنى أن الله نفسه حلّ فى الإنسان يسوع المسيح . فإن إنتصار يسوع المسيح على الخطية وعلى التجارب لا يرجع إذن إلى غياب روح بشرية ميالّه إلى السقوط فى الخطية ، بل يرجع بالحرى إلى وجود اللوغوس فيه ، ووجود اللوغوس فى هذا الإنسان الكامل التكوين لم يلاش الناسوت ، بل كان يوجهه ويرشده ويقوده . وفى وجوده فى هذا الناسوت كان يعمل كل ما يعمله الإنسان ما عدا الخطية . إذ أنه إستطاع فى أيام بشريته – وهو الوحيد فى ذلك – أن لا يعمل ما يقوم بعمله الإنسان فى كل حياته ؛ وهو الخطية ، وأن يعمل فى كل حياته ؛ لا بل فى كل لحظة من حياته ؛ ما لايستطيع الإنسان من ذاته القيام بتنفيذه ؛ وهو البر والقداسة .

٣ – تجنب الإزدواجية :

فقد إعتقد بأن وجودها يتطلب وجود إنسانين أو ابنين فى المسيح الواحد . إن أبولوناريوس بدأ صراعه ضد الأريوسيين ، وفيما بعد ضد ا لكنيسة نفسها ، لكى يدافع عن وحدة المسيح . فلقد اعتبر تعاليم أريوس هرطوقية ، لأنها جعلت من المسيح ابناً لله وابناً للإنسان . كما أنه لم يقبل تعاليم مارسيون (أو ماركيون) ولا تعاليم البنويين التى نادت بأن المسيح حل على الإنسان يسوع الناصرى فى وقت العماد ؛ ومن هذه اللحظة أصبح يسوع الناصرى ، ابناً لله[١٧] . ولقد رفض أيضاً تعاليم كنيسة أنطاكية التى نادت بعبارة الكلمة – إنسان (Logos - Anthropos) كما أنه رفض أيضاً تعاليم كنيسة الإسكندرية التى إستعملت فى تعاليمها عبارة الكلمة – جسد (Logos - Soma) أو (Logos - Chair) أو الكلمة ، اللوغوس جسم (Logos - Sarx) لأنه رأى فى التعليمين إزدواجية يجب محاربتها بكل وسيلة . فإنه كان يعتقد بأن المناداة بعقيدة الكلمة – إنسان = (Logos - Anthropos) خطأ خطيراً لأن قبول هذه العقيدة ، كما نادت بها الكنيسة الأرثوذكسية ، يعنى بأن الله الكلمة أو اللوغوس صار إنساناً . وإذا كان فعلاً بأن الكلمة فى تجسده أصبح إنساناً كاملاً مكوناً من روح وجسد ، يمكن القول بأنه يوجد ابنان لله وليس ابناً واحداً .

---

١٧ . الدكتور القس حنا جرجس الخضرى المجلد الاول : تاريخ الفكر المسيحى ٢٤٤ – ٢٥٥

فقد سبق أن رأينا بأن أبولوناريوس كان يعتقد بأن الإنسان يتكّون من ثلاثة أجزاء النفس السفلى والجسد ثم الروح . ويمكن أن ندعو هذا الإنسان ابناً لله . فإذا أضفنا إلى هذا الإنسان ، الكلمة اللوغوس أو ابن الله ، فإننا نجد ابنين لله بدل من ابن واحد . الإنسان الكامل التكوين أى ابن الله بالتبنى ثم ابن الله أو اللوغوس أو الكلمة أى ابن الله بالطبيعة . فلقد قبل أتباع أبولوناريوس المبدأ الفلسفى القائل إن اثنين كاملين لا يمكن أن يكونا واحداً . واعترضوا قائلين : إذا قبلنا وجود طبيعة بشرية كاملة فى المسيح ، وطبيعة إلهية كاملة فيه فيوجد إذن طبيعتان وشخصان : إذ أنه يوجد إنسان كامل وإله كامل . وبناء على ذلك يوجد شخصان وبالتالى ابنان لله . ابن بالطبيعة ؛ اللوغوس الكلمة ، ثم ابن بالتبنى الإنسان الكامل المكّون من روح وجسد ونفس سفلى[١٨] .

ولهذا السبب رفض أيضاً أبولوناريوس فكرة وجود روح بشرية فى المسيح ، وعلّم بما يدعى فى علم تاريخ الفكر المسيحى أو تاريخ العقائد بعقيدة « الكلمة – جسد أو جسم » (Verbe - Chair) . يعنى أن الكلمة أو اللوغوس أو ابن الله ، حلّ فى جسد أو فى جسم بدون روح عاقلة . وبهذا المنطق أعتقد أسقف لاودكية بأنه وجد حلاً صحيحاً سليماً ضد تعاليم الأريوسية وضد تعاليم الكنيسة الارثوذكسية .

٤ – إيمانه بالطبيعة الواحدة ورفضه لعقيدة الطبيعتين :

نطق أبولوناريوس بهذه الجملة الشهيرة ، فى وصفه لشخص المسيح بعد اتحاد الكلمة الابن بالجسد ساركس ؛ وهى « واحدة هى الطبيعة »[١٩] وهذه الجملة لعبت دوراً هاماً جداً فى النزاع العقائدى الكرستولوجى فى الحقبات التالية .

فأبولوناريوس يرفض وجود طبيعتين كاملتين فى شخص المسيح ولا يقبل إلا وجود طبيعة واحدة . ولقد سبق أن قلنا إنه حاول جاهداً أن يتجنب الازدواجية التى علّم بها الأنطاكيون . ولهذا فقد رأى أن عقيدة الطبيعتين فى شخص المسيح تحتوى على خطر عظيم : وهو خطر الازدواجية ؛ أى وجود طبيعة إلهية كاملة ووجود طبيعة بشرية كاملة فى المسيح . ولذلك فقد قام بحرب شعواء ضد تعليم الكنيسة التى كانت تعترف بكمال اللاهوت وكمال الناسوت . وإتبع فى ذلك نظام الكلمة – جسد Verbe-Chair Word-Flesh أى أن الكلمة الابن حلّ فى الجسد : أو فى جسد ولم يحل فى طبيعة بشرية كاملة . لم يحل فى إنسان مكّون من روح عاقلة ونفس سفلى وجسد بحسب المفهوم الفلسفى السائد ، بل أن الكلمة حلّ فى جسد وهذا الأخير (الجسد) لا يمكن اعتباره

---

18. (Verbe - Chair) Voisin. P. 290

19. Danielou 381

طبيعة كاملة ، لأنه لا يمكن له بأن يمنح من ذاته ولذاته حياة[٢٠] إذ أنه مجرد أيضاً من الروح العاقلة . فإن قبول روح عاقلة فى الجسد الذى أخذه الكلمة يعنى وجود طبيعة بشرية كاملة ثم الكلمة المتجسد لاهوت كامل . وهذا يقود إلى وجود طبيعتين كاملتين فى المسيح . الأمر الذى رفضه أسقف لاودكية لخوفه من الازدواجية التى بدأت فى الانتشار فى عصره . ألم يعلم ديودوريوس الطرسوسى فى انطاكيا قائلاً « بأن ابن الله حلّ فى ابن داود .. الكلمة سكن فى الذى هو من نسل داود .. »[٢١] . هذه هى الازدواجية التى كان يخشاها أبولوناريوس . ولذلك فإنه رأى كما سبق الإشارة إلى ذلك بأن المسيح كان الكلمة المتجسد والجسد المُتَجسد . وبناء عليه لا يوجد فيه إلا طبيعة واحدة . لأنه لو قبلنا وجود طبيعة بشرية كاملة فى المسيح فمن الضرورى قبول طبيعة إلهية كاملة أيضاً . وبناء على ذلك فإنه يوجد فى المسيح طبيعتان . وهذا الأمر كما يعتقد أبولوناريوس يقود إلى الإنقسام وليس إلى الاتحاد فى شخصية المسيح . لا بل إنه ظن أن قبول عقيدة الطبيعتين فى المسيح يلزمنا بالاعتراف بوجود أربعة أقانيم فى الثالوث وليس ثلاثة . أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس ثم أقنوم الإنسان الكامل[٢٢] .

وهنا نسأل ما هو مفهوم أبولوناريوس للتجسد ؟ إن مشكلة إتحاد اللاهوت بالناسوت ، وكيف تمّ هذا الاتحاد بين عنصرين مختلفين لم تُثر قبل ذلك بنفس الطريقة التى شرح بها أسقف لاودكية هذه المشكلة[٢٣] ففى تقديمه لهذه المشكلة حاول تطبيق النظرية الارسطاطالية للمادة والهيئة على المسيح . فهو يعتقد بأنه يوجد عنصران فى المسيح : الواحد روحى نشيط وهو اللاهوت أو الكلمة ؛ والثانى مادى سلبى وهو الجسد . فعندما حلّ الكلمة أو اللوغوس أو ابن الله ، وهو العامل النشيط فى الجسد الذى هو الإله المحرك ، كان الكلمة هو الذى يعمل ويحرك ويقود الجسد . وهذان الاثنان : الكلمة المُحرِك والجسد المتحرك ، يكوّنان وحدة واحدة وجوهراً واحداً ومركباً واحداً . وهذا الجوهر هو اللاهوت غير المنظور ثم الناسوت المنظور[٢٤] . ووحدة الكلمة والجسد يكوّنان طبيعة واحدة لا طبيعتين . وعندما تتكّون هذه الطبيعة الواحدة من العنصر الإلهى ، الذى هو المصدر والأصل ، ومن العنصر البشرى ؛ لا يتحول أو يتغير أى عنصر منهما إلى عنصر آخر فكل عنصر من العنصرين اللاهوتى والجسدى (البشرى) يحتفظ بميزاته الخاصة به . ولكى يشرح هذه العقيدة رجع إلى التشبيه المعروف الجسد والروح .

---

20. A. Grillmeier 264 - 269.
21. Joseph Turmel. Hist. des Dogmes 2 La Trinité, P. Incarnation. La Vierge Marie 301.
22. Voisin 290.
23. Voisin 277 J. Liebaert 149 - 150.
24. Voisin 279.

فإن الروح باتحادها بالجسد لا تتحول إلى جسد أو الجسد لا يتحول إلى روح . وبالرغم من عدم الاختلاط أو الإندماج فى العنصرين ، فإن عملية الاتحاد تمت بين الروح غير المنظور والجسد المنظور . فإن كان الاتحاد بين الروح وبين الجسد ممكنا لتكوين وحدة واحدة طبيعية ، فكم بالحرى يكون ممكناً بحسب مفهوم أبولوناريوس بأن الكلمة اللوغوس يتحد بجسد بدون روح بشرية لتكوين طبيعة دون أن يحدث تغيير فى الواحد أو فى الآخر[٢٥] . على أن أسقف لاودكية لا يرى أن الطبيعة الواحدة بعد الاتحاد ، هى نتيجة إتحاد العنصرين اللاهوتى والبشرى أو أن هذا الاتحاد أنتج طبيعة جديدة خليطاً من الكلمة والجسد ، بل أن الطبيعة الإلهية التى كان يملكها اللوغوس قبل مجيئه إلى العالم ، وجُدت فى حالة جديدة . فبعد إتحاد الكلمة أو اللوغوس بالجسد ، أصبح المسيح مركباً من الكلمة ومن الجسد . فإن الأول (الكلمة) هو الذى يسيطر ويحرك الثانى (الجسد) الذى أصبح آلة طبيعة . وفى هذا المركب لا توجد إلا طبيعة واحدة هى طبيعة اللاهوت الذى يعمل فى الجسد ويسيطر عليه[٢٦] . فإن الكلمة فى الجسد كالمحرك فى السيارة أو الروح فى الإنسان . وبما أن الطاقة واحدة والمحرك واحد وهو الكلمة (اللوغوس) فلا يوجد إلا جوهر واحد وطبيعة واحدة وهو جوهر الكلمة وطبيعة الكلمة[٢٧] . فإن عبارة « والكلمة صار جسداً » تعنى عنده ، أن اللوغوس اتحد بجسد : أى أن الطبيعة الإلهية إتحدت بجسد لم تتحد بطبيعة بشرية كاملة . ولهذا السبب نادى بجملته المشهورة « واحدة هى الطبيعة » أى الطبيعة الإلهية التى حلّت بدل الروح فى جسم بشرى .

فإن التجسد بحسب مفهوم أبولوناريوس ، هو إتحاد الكلمة اللوغوس بالجسد (الساركس) : والروح الإلهى والساركس (الجسد) الأرضى يكونان معاً وحدة جوهرية[٢٨] لأن جسد المسيح وحده لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون طبيعة مستقلة بذاته ومن ذاته . فلكى يخرج إلى حيز الوجود كان لابد من إتحاده بنفس عاقلة ومحركة وعاملة . والذى حلّ محل هذه الروح العاقلة العاملة والمحركة هو اللوغوس نفسه[٢٩] . فلقدكتب يقول : « إنه (المسيح) طبيعة واحدة لأنه شخص واحد بسيط وغير منقسم إذ أن جسده لا يعتبر طبيعة بذاته ، وليس بفضل التجسد أصبح اللاهوت طبيعة بذاته ... »[٣٠] .

---

25. Voisin 279

26. 283

27. J. Liebaert 146 - 151.

28. Grillmeier 259 - 263.

29. Alol. de laodicée. Ep. Ad. Dion. 1.8. Cité, par Kelly 300 - 303.

★ فى بعض النصوص يعتبر أبولوناريوس الجسد والنفس الحيوانية أو السفلى كشىء واحد .

30. ..... 303 - 305

ولهذا فإنه يعتبر أن عقيدة الطبيعتين فى المسيح خطأ عظيم ، فهو يقول فى خطابه إلى ديونسيوس « إن قبول فكرة الطبيعتين هو تقديم أفضل برهان لهدم وحدة المسيح ، لأنه حيث توجد الازدواجية يوجد الانقسام ... »[٣١] .

رفض أبيفانوس تعاليم أبولوناريوس ، حاول الأستاذ جريلمير Grillmeier من خلال كتابات أبيفانوس أن يستخلص بعض تعاليم أسقف لاودكية الخاصة بالطبيعتين . فمثلاً يقول أبولوناريوس مجادلاً بأن الإنسان هو إقنوم أو شخصية بفضل الروح التى هى مصدر الحياة . فإن نفسه الحيوانية وجسده أصبحاً إقنوماً أو شخصية بفضل – وعن طريق – الروح . فإذا قلنا بأن الكلمة كنفس إلهى وروح إلهى أخذ روحاً بشرية ، لوجد فى المسيح إقنومان وهذا الأمر مستحيل . ولكن إذا اعترفنا بأن الكلمة لم يأخذ إلا نفساً حيوانية(*) وجسداً فان هذين الأخيرين (النفس الحيوانية والجسد) يتأقنما فيه ولا يوجد إلا أقنوم واحد فردى[٣٢] .

مما سبق يتضح جلياً بأن أبولوناريوس يرفض عقيدة وجود طبيعتين فى المسيح ، وعلّم بوجود طبيعة واحدة ، ولذلك رأى فيه البعض أساساً لتعليم اتيجوس الذى يعتبر من الذين علّموا عن جهل وعن غير فهم عقيدة الطبيعة الواحدة (Monophysisme) . والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو ما هو الدور الذى يقوم به الجسد ؟

يعتقد أبولوناريوس بأن اللوغوس هو مصدر الحياة ، ومصدر القوة ومصدر الحركة والعمل والنشاط : ففى عملية إتحاد اللوغوس بالجسد حلّ اللوغوس محل الروح البشرية فى المسيح وبناء على ذلك أصبح المسيح شخصاً أو أقنوماً مركباً أو مكّوناً من اللوغوس الذى هو مصدر الحياة ، ومن الجسد وهو الآلة فى يد الكلمة يحركه ويقوده . على أن العلاقة بين الله المُتَجَسِد والجسم (الجسد) المُتَجَسَدُ أقوى بكثير جداً من العلاقة الموجودة بين العامل والآلة . فهو يقول : « وبما أن الله أخذ آلة (الجسد) فهو الله العامل والإنسان المستخدم . فالالة والمحرك لا يكونان إلا طاقة واحدة . فإذا كانت الطاقة واحدة ، فإن الجوهر واحد أيضاً . فلا يوجد إذن إلا جوهر واحد للكلمة (وللآلة) »[٣٣] . فمن الكلمة المُتَجَسِد ومن الجسد المُتَجَسَدُ يتكّون ما يسميه بالمركب : ويعنى بذلك أن المسيح يتكّون من اللوغوس الذى أخذ مكان الروح ، ومن الجسد الذى يمثل الناسوت (الناقص لأنه بدون روح عاقلة) والكلمة يعمل فى هذا الناسوت الناقص أو الجسد عمل الروح فى جسم الإنسان . مما لا شك فيه ، بأن هذا الجسد المجرد من الروح العاقلة لا يمكن أن نعتبره ناسوتاً كاملاً لأنه خالٍ من الروح البشرية .

---

31. Grillmeier P. 264.

32. Grillmeier 271.

33. Liebaert, P. 147.

والسؤال الثانى الذى يجب أن نسأله : ما هو هذا الجسد ، ومن أى طبيعة أُخذ ؟ هل هو جسد سماوى أم أرضى ؟

يرى أبولوناريوس الجسد الذى أخذهُ اللوغوس من زاويتين :

١ – الجسد البشرى :

إنه يؤمن بأن الجسد الذى أخذه الكلمة فى تجسده هو جسد بشرى مثل أجسادنا تماماً ، على أنه فى بعض الأحيان يفضل عبارة « شبه الإنسان » (فى ٢ : ٧) وخاصة فى مقارناته وكلامه عن الجسد الذى أخذه المسيح[٣٤] . ولهذا السبب فقد إتهمه البعض بالدوسيتية (docétisme) أى أنه ينكر حقيقة وفاعلية الجسد فى شخص المسيح ، ولكن الذى يدرس بالتدقيق الشذرات الباقية من كتاباته وبعض كتابات الكتّاب المحايدين فيما يخص هذا الموضوع ؛ يلاحظ بأن أبولوناريوس علّم بوجود جسد حقيقى للمسيح . فلقد قال فى كلامه عن التجسد « .... وفى إخلاء نفسه لم يتغير ... بل أخذ **جسداً** كغلاف ... »[٣٥] . فهو يرى فى المسيح المركب ، الناحية الإلهية ، اللوغوس غير المنظور ، ثم الجسد الذى يسكن فيه اللوغوس المحرك والعامل فى الجسد . ففى هذا الغلاف أو فى هذا الثوب ، حلّ كلمة الله اللوغوس بدلاً من الروح البشرية . وبعد عملية التجسد ، أصبح الجسد العنصر الملموس المحسوس أو الثوب أو الغلاف أو الآلة السلبية (نوعاً) والتى يستخدمها اللوغوس فى عملياته . فإن الجسد هو الشكل الخارجى أو الهيئة المنظورة الملموسة ، واللوغوس هو الجوهر الداخلى أو المحرك والعامل فى هذا الجسد ؛ والاثنان يكّونان شخص المسيح أو ما يسميه أبولوناريوس بالمركب . وهو يقول : « إن الكتب المقدسة تعرفنا بأن المسيح هو الله وإنسان ... ونحن نعترف بأن المسيح واحد ، فهو الذى وُلِدَ من الآب بحسب الروح ومن مريم العذراء بحسب الجسد ، لقد تألم بحسب الجسد ، كما أنه ظل غير قابل للآلام بحسب اللاهوت[٣٦] . ثم يقول أيضاً إن المسيح كله من السماء بحسب اللاهوت وكله من المرأة بحسب الجسد[٣٧] وفى حملته الهجومية ضد مدرسة إنطاكية نادى بأن الله ولد من إمرأة وتألم .. إن مجمع نيقية يؤكد هذه الحقيقة عندما يقول : بأن ابن الله نزل من السماء وصار إنساناً .. إن الله تألم مع أنه غير قابل للآلام ... فإن الكلمة تألم ومات بحسب الجسد ...[٣٨] لأن هذا الجسد هو من

---

34. Voisin. 288 - 290
35. 283
36. Les Fragments Dogmatiques de Diodore de Tarres et Theodore de Mopsueste dans Migne P.G. T. T 33, 66 P. 342 GG. P. 342.
37. Voisin. 294.
38. ..... 295 - 96.

نسل داود وقد كُوّن فى بطن العذراء مريم .. فالجسد الذى أخذه الكلمة من مريم شبيه باجسادنا[٣٩] . فإن الله والإنسان ليسا بجوهرين ولكن جوهر واحد مركب **الله والجسد البشرى**[٤٠] .

من هذه النصوص المقتبسة أعلاه ومن نصوص أخرى كثيرة يتضح بأن أبولوناريوس لا ينكر وجود جسد بشرى للمسيح ، وأن هذا الجسد قد أخذه من مريم العذراء ، ولم ينزل من السماء ، بل جسم حقيقى ، جاع وعطش وتألم وفرح مثل كل الأجساد البشرية الأخرى . فهو « شبيه باجسادنا » وأن قانون الإيمان الذى وقّع عليه المجتمعون فى مجمع الإسكندرية فى سنة ٣٦٢ يعترف بصراحة بحقيقة جسد المسيح ، بغض النظر عما كان يخفيه إتباع أبولوناريوس والممثلون له فى هذا المجمع ، فى قلوبهم بخصوص عدم وجود روح فى المسيح . هذا هو المفهوم الأول الذى يقدمه أبولوناريوس وأتباعه لجسد المسيح . على أنه يقدم مع أتباعه جسد المسيح من زاوية أخرى .

٢ – الجسد المتأله :

إن الدارس لتعاليم أبولوناريوس يلاحظ بأنه يستعمل فى الكلام عن جسد المسيح بعض العبارات التى يشتم منها رائحة الدوسيتيه مثل « الإنسان السماوى أو جسد الله أو جسد الإله أو شبه إنسان .. » ولقد فهم الكثيرون عبارة « الإنسان السماوى » بطريقة خاطئة . ولذلك فقد انتقدوا أسقف لاودكية بشدة ، وفسرت هذه العبارة بحسب مفهومهم الخاطىء ظانين بأن أبولوناريوس كان يعتقد بأن جسد المسيح هو جسد سماوى نزل من السماء وليس جسداً بشرياً . ولقد سبق وشرحنا بأنه يؤمن بحقيقة جسد المسيح البشرى ، وأن الجسد الذى تجسد فيه الكلمة هو جسد شبيه باجسادنا . ومع أن هذا الجسد مثل أجسادنا ومولود من مريم العذراء فهو جسد بشرى كأى جسد آخر ، إلا أنه خالٍ من الروح ؛ فهو أيضاً يختلف عن أجسادنا ليس بسبب طبيعته البشرية ، بل بسبب إتحاده باللاهوت . مما جعل هذا الجسد المأخوذ من مريم العذراء جسداً إلهياً أو جسد الله[٤١] ، أو جسداً سماوياً . وينّبر أبولوناريوس فى تعاليمه على أن هذه العملية ، لا تعنى أن جسد المسيح تحوّل من جسد بشرى إلى جسد إلهى متغيراً عن أصله البشرى . فكما أن اللوغوس فى تجسده لم يترك اللاهوت لكى يصير ناسوتاً أو جسداً بشرياً ، بل ظل ما كان عليه قبل التجسد ، كذلك فإن الجسد البشرى لم يتغير أو يتحوّل إلى طبيعة أخرى غير طبيعته الأصلية . وهذا واضح مما كتبه أبولوناريوس نفسه . فبعد موته إنقسم أتباعه إلى

39. Kelly 304

40. Voisin 288

41. Liebaert 147.

طائفتين طائفة المعتدلين وطائفة المحافظين أو المتمسكين بتعاليمه بطريقة حرفية . ولقد كتب أحد أتباع طائفة المعتدلين خطاباً وهو الأسقف هومونيوس (Homonius) إلى تيموثاوس البيريتى أو البيروتى (Timothé de Beryte) أحد أساقفة المحافظين يطلب فيه تفسيراً لاتحاد الكلمة بالجسد . ولم يجد الأسقف تيموثاوس رداً أوضح من الرد الذى أرسله أبولوناريوس نفسه إلى سرابيون (Serapion) ويقول فيه « إن جسد المسيح مشابه لاجسادنا بالطبيعة ، ولكنّه إلهى بسبب الاتحاد[٤٢] . فمن هذا الخطاب ومن بعض الشذرات الباقية من كتاباته ، يتضح بأن أبولوناريوس لا يعتقد بأن جسد المسيح قد نزل من السماء أو هو من طبيعة أخرى غير الطبيعة البشرية ، مع أنه ليس بطبيعة بشرية كاملة . بل أن ما حدث فى جسد المسيح هو أن عملية إتحاد الكلمة رفعت هذا الجسد البشرى إلى درجة أسمى وأعلى ، لا بل ألهته . وهنا تظهر الزاوية الثانية التى يرى أبولوناريوس من خلالها جسد المسيح ، وهو الجسد المتأله بسبب إتحاده باللوغوس . فإن الجسد من ذاته وبذاته دون إتحاد مع اللوغوس هو جسد كأجسادنا . ولكن عند إتحاده باللوغوس أصبح جسد الله . فمع أنه جسد بشرى إلا أنه عن طريق الاتحاد وبفضله أصبح جسد اللوغوس وبالتالى متألهاً . ولقد عارض هذا التعليم الأسقف هومونيوس . فعندما إطلع على المكتوب الذى أرسله تيموثاوس كتب قانون إيمان يقول فيه « اعترف أنا هومونيوس بأن الكلمة أخذ جسداً من مريم يشبه أجسادنا . والذى يعترف بأن الجسد الذى إتحد به السيد مساو لله يكون محروماً »[٤٣] نادى أبولوناريوس باشتراك الصفات (Communication des idiomes) أو توصيل المميزات والصفات الخاصة بالواحدة الأخرى أى تطبيق صفات الطبيعتين على شخص المسيح الواحد . فمثلاً يمكننا أن نقول بأن المسيح هو إنسان وإله فهو يجهل بعض الأمور لكنه يعرف كل شيء وقد ولد فى وقت معين لكنه أزلى وعن طريق هذه القاعدة يمكن القول بأن كل خاصة أو طبيعة من الطبيعتين كانت تُشرك الأخرى فى صفاتها وقدرتها .. كانت هذه القاعدة مقبولة من عدد كبير من أباء الكنيسة فى القرون الأولى . على أن أبولوناريوس تطرّف فى إستخدامها وحاول إستغلالها إلى أبعد الحدود . وبناء على ذلك ، فإنه يرى بأن عملية إتحاد الكلمة بالجسد ألّهت هذا الجسد . ففى كتابه ضد ديودوريوس (Diodore) يشرح هذه المشكلة فيقول « يمكن أن نقول بأن ذرية داود هو الخالق للعالم ، لأنه إتحد بخالق العالم .. وعلى هذا المنوال يمكن القول أيضاً بأن جسد المسيح موجود سابقاً قبل وجود إبراهيم[٤٤] . وهنا يطبق أبولوناريوس نظرية « الاشتراك فى صفات الطبيعتين أو توصيل الصفات بين الطبيعتين . فعلى سبيل المثال عندما اتحد اللوغوس بالجسد أصبح الجسد يتمتع بالصفات التى يتمتع بها

42. Kelly 303 - 306 (Voir Apol .. de Lao.. Frag. 116, 153.160 Anaceph.

43. Voisin 125.

44. Voisin 125.

اللاهوت . فيمكن أن يقال بأن الجسد متألم وغير متألم ، وإنه إلهى وغير إلهى ، وإنه مولود من العذراء فى زمن معين وغير مولود فى الزمان والمكان وإنه قبل إبراهيم وبعده .

ويقول دانيالو بأن أبولوناريوس إستعمل هذه القاعدة بطريقة متطرفة ومتناقضة لدرجة أنه علّم بعبادة جسد المسيح[٤٥] . فبما أن جسد المسيح هو جسد الله فيجب إذن عبادة جسد الله . لأن الكلمة والجسد يكونان كائناً واحداً وهو المسيح .

حاول فالانتينوس (Valentin) وهو رئيس الحزب المصرى الأبولوناريوسى ، الدفاع عن معلمه فكتب مكتوباً حاول أن يبين فيه أن أبولوناريوس حارب فكرة مساواة جسد المسيح بالله أو أنه من نفس طبيعة الله ، ويقول بأنه هو نفسه قد حارب كلا من تيموثاوس وآخرين رافضاً عقيدة تساوى ابن الله بالجسد ، الذى إتحد به . ثم يضيف قائلاً بأن تيموثاوس أخطأ عندما ظن بأن أبولوناريوس علّم بأن الجسد ظل بشرياً بالطبيعة ، ولكنه يفضل الاتحاد أصبح مثل الكلمة مساوياً لله فى الجوهر[٤٦] . وعلى ما يبدو بأن تيموثاوس كان أقرب لآراء أبولوناريوس من فالانتينوس .

45. Voisin 296 - 300.

46. Danielou 381.

الفصل الثالث

بعض التعاليم التى نسبت إلى أبولوناريوس ولم يعلم بها

كانت تعاليم أبولوناريوس موضوعاً للنقاش والجدل فى القرنين الرابع والخامس . ولقد كتب كثير من الآباء نقداً لأفكاره وتعاليمه فى حياته وبعد موته . وفى نقدهم لأفكاره نسب له البعض منهم أخطاء وتعاليما لم يناد بها . ومن الأخطاء التى نسبت إليه :

١ – **إختلاط الجسد واللاهوت فى المسيح** : سبق أن رأينا بأن أبولوناريوس نبّر بشدة مراراً وتكراراً على أن التجسد ليس خلطاً ومزجاً للعنصرين بل هى عملية إتحاد بين اللوغوس وبين الجسد . وفى هذا الاتحاد يحتفظ كل عنصر بخواصه وطبيعته الذاتية . لا بل إنه حرم كل من يعلم بمزج أو خلط العنصرين : اللاهوت والجسد .

٢ – **جسد المسيح نزل من السماء** : إتهمه البعض أيضاً بأنه علّم بأن جسد المسيح نزل من السماء ؛ كما أنه يختلف عن أجسادنا : فهو إذن جسد سماوى وبناء على ذلك فقد الصقوا به تهمة غنوسى . فغريغوريوس النزينزى يقول فى خطاب له إلى كليدونيوس بأن طائفة أبولوناريوس تميل إلى الدوسيتية (الذين لا يرون فى المسيح إلا لاهوتاً فقط) ولقد سبق ورأينا بأنه نبّر بشدة على حقيقة وجود جسد للمسيح . وهذا الجسد لم يكن خيالاً بل كان حقيقة واقعية ملموسة ومحسوسة .

٣ – **كان جسد المسيح جسداً خاصاً من مادة خاصة** : إتهم كل من القديس أمبرواز والقديس أبيفانوس ، أسقف لاودكية بأنه علّم بأن الكلمة لم يأخذ جسداً من مريم ولكنه هو نفسه الذى صنع لنفسه جسداً من مادته الخاصة ، وليس لهذا الجسد بداية فى الزمن

وهو مساو للكلمة . إن هذا الاتهام لا يستند على أى إقتباس من تعاليم أبولوناريوس وبناء على ذلك فلا داع لمناقشتها كما يقول فوازن . ونلاحظ بأن غريغوريوس النيسى يتهم أيضاً أبولوناريوس وشيعته بنفس التهمة فى خطاب قد أرسله إلى ثيوفيلوس الإسكندرى بالقول بأن أسقف لاودكية يعلّم بأن جسد المسيح نزل من السماء . ويقول فوازن بأن غريغوريوس النيسى كتب عن هذا الموضوع دون التحقق من صحته . وأن تعاليم أبولوناريوس المعروفة لدينا حتى الآن تثبت عكس ذلك .

٤ – لم يكن جسد المسيح جسداً حقيقياً : ولقد إتهمه أيضاً غريغوريوس النزينزى بأنه كان يعلّم بأن الكلمة المتجسد لم يصر جسداً حقيقياً فى بطن مريم العذراء بل كان شبه جسد . ولذلك فعند الميلاد خرج الكلمة من رحم مريم كما يمر الماء فى قناة . على أن معظم العلماء يؤكدون لنا بأن هذه الكلمات لا توجد فى الشذرات المعروفة لدينا حالياً من كتابات أبولوناريوس بل هى بالحرى كلمات نطق بها غريغوريوس وقد يحتمل أن هذا الأخير سمعها من عامة الشعب أو من مروجى الشائعات . فلقد قص بعض تلاميذ أبولوناريوس على القديس أبيفانوس بعض تعاليم أسقف لاودكية ، ولم يصدّق أبيفانوس هذه الشائعات فطلب من فيتال توضيح هذا الأمر ولم يتردد هذا الأخير ، وهو من أتباع أبولوناريوس بالحكم على هذه التعاليم وإعلان هرطقتها وضلالها[1] .

ومما لا شك فيه بأن أسقف لاودكية إنحرف فى تعاليمه الكرستولوجية وخاصة عندما جرّد المسيح من روح بشرية . ولكن هذا الانحراف لا يبرر بأى حال من الأحوال أن ننسب إليه بعض الهرطقات والأخطاء العقائدية التى لم يعلم بها . فمع أننا لا نتفق مع تعاليمه الخاصة بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، وبعض التعاليم الأخرى ، فإننا لا نقبل الاتهامات الموجهة إليه وغير المدعمة بوثائق علمية تاريخية حقيقية ، إلى أن تظهر وثائق وأدلة علمية تاريخية تثبت حقيقة هذه الاتهامات . وإننا لا نريد الدفاع عن أبولوناريوس أو عن تعاليمه ، فإن الكنيسة قد حكمت بحق بضلال تعاليمه ، ولكننا نريد أن نقول : أنه ليس من الأمانة العلمية أو العدل أن ننسب أخطاء عقائدية أو تعاليم ضالة غير موثوق بصحتها ومصدرها إلى شخص ما حتى ولو كان هذا الشخص هو أبولوناريوس الذى حكمت الكنيسة عن حق بهرطقة تعاليمه .

---

1. Voisin. P. 127.

متى ، وكيف ، وأين ، ظهرت تعاليم أبولوناريوس ؟

وقبل أن نختم هذا الفصل نرى أنه من الضرورى أن نعرف متى ؟ وكيف ؟ وأين ؟ ظهرت هرطقة أبولوناريوس .

لقد كان أسقف لاودكية فى بداية خدمته رجلاً تقياً غيوراً شجاعاً وعلى ما يحتمل بأن الحزب الأرثوذكسى المؤيد لقرارات نيقية قد تبين فى هذا الرجل تمسكه بقرارات نيقية ، فاختاره أسقفاً وراعياً سنة ٣٦٠ . وبالرغم من أنه كان أسقفاً لمدينة لاودكية ومقيماً فيها إلا أنه كان على إتصال دائم ومستمر بمدينة أنطاكيا . ولقد رأى هناك الانقسامات والأحزاب الكثيرة الموجودة فى هذه المدينة . ولهذا السبب قام بتأسيس مدرسة تفسير فى هذه المدينة للمجموعة الصغيرة التى قبلت تعليمه . ولهذا فإن الانطاكيين هم أول من قبلوا تعاليم أبولوناريوس ، وعلى ما يعتقد كيلى (Kelly) بأن أبولوناريوس بدأ فى نشر تعاليمه فى حوالى سنة ٣٥٢[٢] على أن هذه التعاليم لم تثر أى علامات إستفهام فى أذهان الشعب ، ولم يتنبه لخطورتها إلا عدد قليل جداً من قادة الكنيسة فى هذا الوقت . فإذا رجعنا إلى كتابات غريغوريوس النزينزى يمكننا أن نقول بأن الشاب اللاودوكى بدأ نشاطه التعليمى فى هذا التاريخ الذى يتكلم عنه كيلى . على أن تعاليمه لم تظهر فى هذا الوقت كتعاليم خطيرة أو هرطوقية . ويحتمل أن خطورة تعاليمه لم تجذب إنتباه القادة إلا فى سنة ٣٦٢ أثناء إنعقاد مجمع الإسكندرية .

فعندما تولى الامبراطور يوليانوس الجاحد (٣٦١ - ٣٦٣) زمام الحكم وكان ميالاً للوثنية لا بل مشجعاً لها ، غيّر سياسته من ناحية المسيحية . ورغبة منه فى بث الفتنة والانقسام والانشقاق فى صفوف المسيحيين عمل على إرجاع الأساقفة المنفيين . ويقول الدكتور أسد رستم « ورغب (يوليانوس) فى عودة الأساقفة المنفيين إلى أوطانهم ليزداد الشقاق فى صفوف النصرانية . فعاد أثناسيوس الكبير إلى الإسكندرية ... [٣] ، وعندما وصل القديس العظيم أثناسيوس إلى أرض الوطن قام بعقد مجمع كنسى فى سنة ٣٦٢ وكان الغرض من هذا المجمع هو العمل على تقوية روابط الوحدة فى الكنيسة المحلية والكنيسة العامة ، ولقد جاء لحضور هذا المجمع وفود من أنطاكية ، ومن بين هذه الوفود ، وقد يمثل أتباع أبولوناريوس . ويظهر أن المعارضة لحزب أتباع الأسقف اللاودكى جاءت من المدرسة التى تدعى أتباع الازدواجية (L'école dualiste) بأنطاكيا : أى التى تعلم

---

2. Kelly 300

٣ - د. اسد رستم الجزء الاول ص ٢٤٠ .

بوجود طبيعتين فى المسيح ، وهم الجماعة الأرثوذكسية والتى كان على رأسها الأسقف ملاسيوس (Méléce) ثم ديودوريوس (Diodore) وهذا الأخير صار فيما بعد أسقفا لطرسوس . وكان هذا الحزب ينادى بعقيدة الكلمة – إنسان (Verbe-Homme) . على أن المعارضة الأولى والحاسمة قامت بها مجموعة انطاكية أخرى ، وكان يرأسها الأسقف بولونيوس (Paulin) ، وقد كانت هذه الجماعة صغيرة ومتمسكة بتعاليم أستاثيوس (Eustathe) الانطاكى إحتفاظاً بذاكراه .

وعندما جاءت هذه الوفود إلى الإسكندرية كانت تنوى تصفية المشكلة والانشقاقات التى مزقت كنائسهم وجعلتها أحزابا وطوائف . ومن خلال القصة التى يرويها القديس أثناسيوس فى رسالته للأنطاكيين (Tame aux Antiochiens) والتى كان الغرض منها بث روح الصلح والمحبة بين هذه الأحزاب المتعارضة ، يمكننا أن نتصور ما حدث فى هذا الاجتماع . فمن المحتمل أن أتباع بولونيوس هم الذين أثاروا مشكلة وجود روح بشرية فى المسيح ، لأن هذه العقيدة كانت من العقائد الغالبة على أتباع استاثيوس . ولحل هذه المشكلة ، ولعدم إثارة مشاكل جديدة حاول أتباع أبولوناريوس الاجابة بطريقة دبلوماسية وكلاسيكية مقبولة تعترف بها الأحزاب الأخرى . وهذا هو ملخص قانون الإيمان الذى وقعت عليه الأحزاب المجتمعة فى الإسكندرية « إن جسد المخلص لم يكن بدون روح ، بدون إحساس ، بدون نفس . وبما أن السيد قد صار إنساناً من أجلنا ، فإنه من غير الممكن أن يكون جسده مجرداً من النفس لأن اللوغوس قد خلّص ليس الجسد فقط ، بل الروح أيضاً »[٤] . وربما يقول معترض أن أتباع أبولوناريوس يعترفون هنا بوجود روح بشرية فى جسد المسيح فهل يتنكرون لعقيدتهم ؟!! إن الأبولوناريوسيين يعترفون هنا بوجود روح فى المسيح ، ولكن مضمون هذا الاعتراف يتوقف على ما يقصده أتباع أبولوناريوس بكلمة الروح هنا . ففى إعترافهم بوجود روح فى المسيح يعنى أن هذه الروح هى اللوغوس ، الكلمة الذى حلّ محل الروح البشرية فى المسيح .

وهكذا ظلت المشكلة كما هى دون أن يُؤخذ قرار حاسم وقاطع بخصوص أبولوناريوس وأتباعه ، الذين إستمروا بنشاط واجتهاد فى نشر تعاليمهم ومعتقداتهم . فمع أن سنودس الإسكندرية أقرّ بوجود روح بشرية فى المسيح إلا أنه لم يصدر قراراً بالحكم على أبولوناريوس وأتباعه . ولهذا السبب فقد إزداد نشاط أبولوناريوس وأتباعه فى التبشير بهذه العقيدة . وتكّونت جمعيات وجماعات فى الإسكندرية وفى أنطاكية للمناداه بهذه التعاليم . وكان من بين الذين قبلوا تعاليمه ، ليس فقط بعض العلمانيين ، بل أن بعض الأساقفة إنضموا أيضاً إلى طائفته مثل فيتاليوس (Vitale) وفيما بعد بولونيوس (Polemon) ثم

4. J. Liebaert 150 - 152.

ايوميوس (Eunomius) ويوليانوس (Julien) وفالانتينوس (Valentin) وهومونيوس (Homonius) وآخرون .

كان فيتاليوس من أنشط الأعضاء فى أنطاكية[٥] وكان قبل أن ينضم إلى أبولوناريوس كاهناً فى كنيسة من الكنائس الخاضعة لسلطة الأسقف ملاسيوس : أى من الذين يقبلون ويعترفون بقانون الإيمان النيقوى . ولقد سامه ملاسيوس كاهناً فى حوالى سنة ٣٦١ . فأحبه الشعب وأكرمه لتقواه وحياته المثالية وغيرته على العمل[٦] على أن ملاسيوس فصله من كنيسته ، فحاول الانضمام إلى كنيسة بولانيوس وهو من الأساقفة المُعترف بهم من الغرب ومن مؤيدى قانون إيمان نيقية أيضاً . على أن الأسقف بولانيوس شك فى صحة معتقداته فلم يقبله فى أبروشيته . ولذلك فقد ذهب رأساً إلى رومة فى سنة ٣٧٥ وقدم هناك للبابا داماسيوس (Damasse) قانون إيمان إستعمل فيه إصطلاحات أرثوذكسية دون أن يتعرض للتعاليم الأبولوناريوسية . فقد إعترف فى هذا القانون أن الكلمة المتجسد هو الله وأنه مساو للآب فى الجوهر ، كما أنه إنسان كامل ومساو للإنسان ، وهو مولود من العذراء مريم بحسب الجسد[٧] . ونلاحظ أن فيتاليوس لم يذكر لا من قريب أو بعيد شيئاً عن وجود روح بشرية للمسيح ، كما أنه لم يرفض تعاليم أبولوناريوس .

عندما قدم فيتاليوس قانون إيمانه الملتوى ، إلى البابا داماسيوس ، قبله وأعطاه خطاباً للأسقف بولانيوس لقبوله فى الشركة فى كنيسة أنطاكية . ولكن قبل أن يغادر فيتاليوس مدينة رومة ، خامرت الشكوك البابا داماسيوس فى شخصية فيتاليوس وفى قانون إيمانه ، فكتب حالاً ثلاث خطابات إلى الأسقف بولانيوس ولم يتبق لنا منهم إلا الأخير ؛ والذى يوضح فيه موقفه من المشكلة الكرستولوجية ؛ وضرورة القضاء على الهرطقة والاعتراف بأن ابن الله الحكمة قد أخذ جسداً وروحاً ونفساً . يعنى آدم كله : أخذ إنساننا كله ما عدا الخطية .. فإذا اعترف أحد بأن الكلمة حلّ محل الروح البشرية فى الجسد يكون محروماً من الكنيسة الكاثوليكية . وليكن محروماً أيضاً كل من يعترف بوجود ابنين فى المخلص الواحد قبل التجسد والآخر بعد التجسد[٨] ، إن داماسيوس يؤيد فى هذا الخطاب موقف أتباع أستائيوس كما أنه يرفض عقيدة أبولوناريوس وأتباعه ولقد طلب البابا داماسيوس من الأسقف بولانيوس أن كل الذين يريدون الانضمام إلى كنيسة رومة سواء فيتاليوس نفسه أو أتباعه يجب أن يعترفوا بالقانون النيقوى فيما يخص شخص المسيح ورفض الهرطقات التى ظهرت . ولم يقبل فيتاليوس هذه الشروط فترك بولانيوس .

---

5. Danielou. P. 381.
6. Sozomene 1, 6, 25.
7. Voisin. 80 - 84.
8. J. Liebaert. 154.

وعندئذ إنتهز أبولوناريوس هذه الفرصة فسامه أسقفاً على أتباعه فى كنيسة أنطاكية[٩] .

لم تكن هذه الحادثة هى الوحيدة التى نبّهت أذهان قادة الكنيسة إلى خطورة وانتشار الأبولوناريوسية . ففى حقيقة الأمر إن الذى كشف هذه الهرطقة هو أبيفانيوس (Epiphane) أسقف قبرص الذى سماه البعض « بالمطارد المحترف للهرطقات » ولا نعلم بالضبط ، ما إذا كان خبر إنتشار التعاليم الأبولوناريوسية قد وصل إليه عن طريق بحثه الشخصى الخاص فى مطاردته للهرطقات ، أو أن بولانيوس قد طلب منه الحضور إلى أنطاكية لردع هذه البدعة . على أى حال فلقد جاء أبيفانيوس إلى أنطاكية فى سنة ٣٧٤ فوجد أن بولانيوس وفيتاليوس فى صراح عنيف مكشوف . وفى النقاش الذى دار بين ابيفانيوس وبين فيتاليوس الأبولوناريوسى ، اعترف هذا الأخير قائلاً : « إذا اعتبرنا أن اللاهوت أخذ مكان الروح فى المسيح ، وبعد ذلك يأتى الجسد والروح السفلى (النفس) فإنه يمكننا القول بأن المسيح إنسان كامل » وعندما سمع أسقف قبرص هذا الاعتراف ترك أنطاكية ، مصمما بأن يرد على هذه البدعة . ولذلك فقد كتب كتابه المشهور والذى يدعى (Ancoratus) ويعنى الثابت كالهلب ولقد شرح فيه أن اللوغوس صار إنساناً متخذاً جسداً ونفساً وروحاً لكى يخلص الإنسان كله[١٠] . إن كريمير يرى فى قانون إيمان ابيفانيوس المذكور فى كتابه ال (Ancoratus) طريقاً وسطاً بين التعاليم التى علّم بها القديس أثناسيوس وبين تعاليم بولانيوس[١١] .

أثارت المحاولة التى قام بها الأسقف أبيفانيوس لارجاع فيتاليوس إلى التعاليم التى تعلّم بها الكنيسة ، على ما يبدو غضب أبولوناريوس ولذلك فقد قام بحرب شعواء ضد ابيفانيوس وضد بولانيوس لدرجة أنه هدد بحرم ديودوريوس أسقف صور[١٢] ، وفى مكتوب له ، يحتمل بأنه كُتب فى سنة ٣٧٦ أو فى سنة ٣٧٧ ينتقد بشدة تعاليم الانطاكيين الذين قسموا المسيح ، وتعاليم الأرثوذكسيين الذين لا يقبلون تجريد المسيح من روح بشرية[١٣] ، ولم يقف ابيفانيوس مكتوف اليدين إزاء الهجوم الذى شنه أبولوناريوس ، بل كتب كتاباً آخر غير كتاب (Ancoratus) محاولاً أن يشرح فيه الإيمان الصحيح ، كما أنه وجه دعوة لأبولوناريوس لكى يترك تعاليمه وأفكاره وأن يرجع إلى الإيمان الصحيح القويم[١٤] .

---

9. Voisin 83

10. Danielou 382.

11. Grillmeier 300 J. Liebaert 152.

12. Ancoratus. 75, 76.

13. Grillmeier 300, Liebaert. 153.

14. Voisin 83 - 84.

كانت هذه المجادلات والمحاولات والكتابات والتحديات ، سبباً فى ظهور وانتشار تعاليم أبولوناريوس ، ولفت نظر قادة الكنيسة إليها . لا بل كانت السبب أيضاً فى تقديمها لبعض الشعوب ونشرها بينهم . ولذلك فقد ظهرت وانتشرت فى أنطاكية ، ومصر وسوريا وقبرص وفلسطين .. وكان أتباع أبولوناريوس نوعين من الناس :

١ – جهلاء متعصبون مستعدون فى سبيل نشر تعاليم معلمهم .

٢ – ثم علماء مثقفون أمثال فيتاليوس .

لم تظهر خطورة تعاليم أبولوناريوس على حقيقتها إلا بعد حادثة الحوار الذى دار بين أبيفانيوس وفيتاليوس وخاصة ، عندما حاول هذا الأخير أن يحصل بطريقة ملتوية وغير أمينة على موافقة البابا داماسيوس لقبوله فى شركه الكنيسة فى سنة ٣٧٥ . كل هذه الحوادث – وحوادث أخرى – لفتت أنظار القادة والشعب إلى خطورة تعاليم أسقف لاودكية وضرورة اتخاذ موقف حاسم منها . فمع أن مجمع الإسكندرية رفض هذه التعاليم فى سنة ٣٦٢ . كما رفضها البابا داماسيوس أيضاً فى خطابه الذى أرسله إلى الأسقف بولانيوس الأنطاكى الخاص بموضوع فيتاليوس . ومع ذلك فإننا لا نجد لا فى مجمع الإسكندرية ولا فى خطاب البابا داماسيوس حكماً صريحاً وواضحاً ضد أبولوناريوس وأدانته حتى الآن !!! .

الفصل الرابع

الحكم بهرطقة أبولوناريوس

لقد ظل أبولوناريوس وأتباعه يتمتعون بحرية ، وسلطة فى التعليم فى الكنيسة بالرغم من الهجوم الذى شنه ضده وضد تعاليمه الكثيرون من الآباء . على أن هذا الهجوم الذى قام به بعض الآباء ضد تعاليم أسقف لاودكية ، قادهم إلى التفكير فى عقد مجمع للحكم عليه وعلى تعاليمه . ولذلك فقد طلب القديس باسيليوس من البابا داماسيوس التدخل فى الأمر لايجاد حل للمشكلة الكرستولوجية الخاصة بوجود روح بشرية فى المسيح . وبناء على ذلك فقد دعا البابا داماسيوس لعقد مجمع فى رومة فى خريف سنة ٣٧٧ . وحضر إلى هذا السنودس الأسقف بطرس الإسكندرى ، وتيموثاوس ثم وفد من طرف القديس باسيليوس القيصرى . وحكم هذا السنودس بهرطقة تعاليم أبولوناريوس وخلعه من الأسقفية ، كما أن نفس الحكم طُبِّقَ أيضاً على كل من فيتاليوس وتيموثاوس : أسقفا أبولوناريوسيان .

وبعد أن رجع الأسقف بطرس من رومة ، عقد مجمعاً آخر فى الإسكندرية فى سنة ٣٧٨ للموافقة على قرارات مجمع رومة الخاصة بإدانة أسقف لاودكية وخلعه من منصبه كأسقف ، ووافق المجمع على ذلك . وفى خريف سنة ٣٧٩ اجتمع مجمع محلى فى أنطاكية للنظر فى عدة أمور ومنها قضية أبولوناريوس . وأصدر هذا السنودس المحلى الذى كان يضم حوالى ١٥٠ أسقفاً حكما بهرطقة تعاليم أسقف لاودكية وخلعه من منصبه . وجدير بالذكر أن جماعة الأسقف ملاسيوس (Mélèce) قد إشتركت هى أيضاً فى هذا المجمع وفى الحكم على التعاليم الأبولوناريوسية ، لا بل أظهرت استعدادها لقبول تعاليم البابا داماسيوس التى تشتمل على عقيدة الكلمة – إنسان (Verbe-Homme = Word-Man) وهى العقيدة التى كان يمثلها وينادى بها فى الشرق الأسقف لولانيوس وأتباعه . ولقد وافق المجمع المسكونى الثانى الذى عقد فى مدينة القسطنطينية فى سنة

٣٨١ ، على القرارات الصادرة من رومة والإسكندرية وانطاكيا بخصوص هرطقة التعاليم الأبولوناريوسية ، والحكم برفضها . وفى سنة ٣٨٢ طلب البابا داماسيوس عقد مجمع آخر فى رومة ، ولم يستطع أساقفة الشرق حضور هذا السنودس ، فعقدوا هم أيضاً مجمعاً محليا فى القسطنطينية ، وطلبوا من ثلاثة منهم الذهاب إلى رومة لتمثيلهم وتقديم الاعتذار لعدم التمكن من الحضور وفوضوهم فى شرح عقيدة الثالوث التى تؤمن بها كنائس الشرق . ولقد أصدر هذا المجمع الرومانى من جديد حرماناته ضد أبولوناريوس وأتباعه وتعاليمهم وهكذا رفضت الكنائس كلها فى الشرق وفى الغرب فى خمس مجامع ، تعاليم أبولوناريوس وأتباعه . وأعتبرت هذه التعاليم هرطوقية ولا تتفق وتعاليم الكتاب المقدس[١] وتعاليم الآباء الأرثوذكسيين .

ولقد أصدر الامبراطور ثيودوسيوس عدة قوانين فى سنة ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ للضغط على هذه الشيعة ومحوها . ولكن بالرغم من هذه القوانين والضغوط ، فقد استطاعت الأبولوناريوسية أن تواصل نشاطها واجتماعاتها إلى حوالى سنة ٤٢٠ على أنها كانت مضطرة أن تقوم بهذه الأنشطة والاجتماعات بطريقة سرية بعيداً عن أنظار الحكام وقادة الكنيسة .

الأبولوناريوسية بعد أبولوناريوس

ماذا حدث لأبولوناريوس وأتباعه بعد هذه السنودسات الكنسية ، والقرارات الامبراطورية ؟ هل إختفى أبولوناريوس وأتباعه وعقيدته من الكنيسة ؟ لقد سبق وقلنا بأن أبولوناريوس بدأ نشاطه التعليمى حوالى سنة ٣٥٣ ولم تتنبه الكنيسة لخطورة هذه التعاليم إلا فى سنة ٣٦٢ فى سنودس الإسكندرية ، وحتى هذا السنودس لم يأخذ قراراً بمنع أو حرمان أبولوناريوس عن التعليم . وهكذا ظل ينشر تعاليمه فى الكنيسة إلى سنة ٣٧٤ دون أن يجد مقاومة أو معارضة رسمية من جانب الكنيسة . ففى هذه الفترة إستطاعت الأبولوناريوسية أن تنتشر فى الكنيسة وأن تعمق جذورها فيها . ويمكن القول مع فوازن بأن هذه البدعة قد وصلت إلى أوج انتشارها فى الفترة ما بين سنة ٣٧٦ – ٣٨٢[٢] ، أى قبل موت أبولوناريوس . ولكن ماذا حدث لهذه البدعة بعد موت أسقف لاودكية ؟

---

1. Draeseke. 381. Cite Par Voisin 85.

فما يخص هذه المجامع والحرمانات انظر

Liebaert 152 - 157 Grillmeier 299 - 305, 311, Danielou 381, - 384, H Tuchle 344 - 345, 396.

2. Voisin 88 - 89.

إن الشذرات والمقتطفات العقائدية الباقية من كتابات أبولوناريوس ومن كتابات أتباعه تعرفنا بأن تلاميذه إنقسموا بعد موت قائدهم إلى حزبين :

١ – حزب المتطرفين أو المتمسكين بشدة وبتدقيق بكل تعاليم أبولوناريوس . وعلى رأس هذا الحزب نجد كلا من بوليمونيوس (Polemon) ثم أنوميوس (Eunomius) ويوليانوس (Julien) .

٢ – حزب المعتدلين : وكان على رأس هذا الحزب فالانتينوس (Valentin) فى مصر ثم أيوبيوس أو أيوب (Jobius) وهومونيوس (Homonius)[٣] .

١ – الحزب المتطرف :

ولقد تمسك بكل تعاليم أبولوناريوس والمناداة بها جهراً . فإن بوليمونيوس أحد قادة هذا الحزب كان يعلم على مسمع ومرأى من الجميع بعقيدة التماثل أو الإدغام (Le Synousiasme) التى يُفهم منها بأن جسد المسيح المتأله مساو تماماً لجوهر اللوغوس[٤] لم يتمسك هذا الحزب بحرفية تعاليم أبولوناريوس فحسب ، بل أنه بالغ فى تفسيرها وتطبيقها ونشرها . ولقد كانت هذه المبالغة سبباً فى دفع الحزب المعتدل على التخوف من هذا الحزب وعدم الاطمئنان إليه والابتعاد عنه نوعاً . ولذلك فقد كتب الأسقف هومونيوس وهو أحد أساقفة الحزب المعتدل إلى الأسقف تيموثاوس أحد أساقفة الحزب المتطرف ، طالباً من هذا الأخير أن يفسر له معنى اتحاد اللوغوس . ولقد سبق أن أشرنا بأن الأسقف تيموثاوس لم يجد رداً أبلغ من الرد الذى أرسله أبولوناريوس نفسه إلى سرابيون حيث يقول : « إن جسد المسيح مشابه لاجسادنا بالطبيعة ، ولكنه إلهى بسبب الاتحاد » ومع أن هذا الرد لا يحمل فى طياته أن جسد المسيح من جوهر إلهى ، فإن بعض المتطرفين قد فسروه على أنه من جوهر إلهى . إن المبالغة التى أظهرها المتطرفون كانت السبب فى توسيع الفجوة بين المتمسكين أو المبالغين وبين المعتدلين . ولهذا السبب فإن الرد الذى أرسله الأسقف تيموثاوس إلى الأسقف هومونيوس عن مساواة جسد المسيح باللوغوس زاد المشكلة تأزماً وهذا واضح من قانون الإيمان الذى كتبه هومونيوس بعد أن استلم رسالة الأسقف تيموثاوس ويقول فيه : « أعترف أنا هومونيوس بأن الكلمة (اللوغوس) ، أخذ جسداً من مريم يشبه أجسادنا . وان من ينادى بأن الجسد الذى إتحد به السيد مساو لله يكون محروماً » .

---

3. Liebaert 156.

4. Voisin. 106.

٢ – الحزب المعتدل :

أما الحزب المعتدل فقد نهج فى سياسته التعليمية طريقاً آخر يتصف باتساع الصدر والأفق فى التفكير . فكما أن المتطرفين بالغوا فى تفسير وتطبيق التعاليم الأبولوناريوسية ، فإن المعتدلين سلكوا نفس الطريق ، ولكن فى الاتجاه العكسى . فقد أظهروا روح التسامح والاعتدال إزاء الكنيسة الرسمية التقليدية . ولقد سبق أن رأينا الدفاع الذى حاول به فالانتينوس ، رئيس الحزب المصرى تبرئة معلمه من التفسيرات المبالغ فيها ، وكيف أن أبولوناريوس ، بحسب مفهومه ، حارب فكرة مساواة جسد المسيح للاهوته ، أو بأنه من نفس طبيعة الله . ويواصل دفاعه بالقول ، بأنه هو نفسه (فالانتينوس) قد حارب كلا من تيموثاوس وبوليمونيوس وآخرين . وهو يعتقد بأن تيموثاوس قد أخطأ عندما ظن بأن معلّم لاودكية قد علّم بأن الجسد ظل بشريا بالطبيعة ، ولكنه بفضل الاتحاد أصبح مثل الكلمة مساو لله فى الجوهر .

فمع أن الحزب المعتدل كان يكن لأبولوناريوس نفسه كل تقدير واحترام ومحبة ، وولاء فإنه رفض التعاليم الأبولوناريوسية الخاصة بمساواة جسد المسيح بجوهر الكلمة ؛ لا بل رفض حتى عبارة أن الجسد الذى أخذه المسيح مشابه للكلمة . وهنا نلاحظ أمراً هاماً ، فإن الذى فرّق المعتدلين عن المتطرفين ووسّع فجوة الخلاف بينهما ، ليس فقط الاختلافات التعليمية وحدها ، بل بعض الخلفيات السياسية التى لعبت دوراً هاماً فى ذلك . فمن الواضح أن الانقسامات بين حزبى أتباع أبولوناريوس بدأت بعد موته ، أى بعد حوالى سنة ٣٨٨ أو ٣٩٠ . وهذا يعنى أن الحزب المعتدل أظهر اعتداله وعدم موافقته على كل التعاليم المتطرفة ، بعد الإحكام الكنسية التى صدرت ضد معلم لاودكية فى السنوات ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ . وعلى ما يبدو فإن الذى دفع جماعة المعتدلين إلى الاعتدال هى القوانين الصارمة الشديدة التى أصدرها الامبراطور فى السنوات ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ للضغط على بدعة أبولوناريوس وخنقها . لذا نلاحظ أن حزب المعتدلين كان يحاول جاهداً التقرب من الكنيسة الرسمية ومجاملتها . وهذا الأمر يقودنا إلى فرق آخر بين المعتدلين والمتطرفين . فإن المتطرفين كانوا يهاجمون باستمرار الكنيسة العامة ويكنون لها كل حقد وكراهية . بينما كان المعتدلون يحرصون الحرص كله على إحترام الكنيسة التقليدية وتقاليدها . ففى كتابات زعيم الحزب المعتدل المصرى فالانتينوس نلاحظ أن إقتباساته لكتابات القديس أثناسيوس تسبق اقتباساته لكتابات أبولوناريوس . فإن المعتدلين كانوا يحاولون ، ليس فقط التقرب من الكنيسة ، بل فى بعض الأحيان الانضمام إليها . ولقد حاول الأسقف ثيودوتيوس (Theodote) الانطاكى أن يضم إلى حظيرة خرافه بعض أتباع أبولوناريوس . ويحتمل أن الذين إنضموا إلى الأسقف الانطاكى لم يكونوا من الحزب المتطرف . والمؤرخ ثيودوريثوس يعرفنا بأن أتباع فالانتينوس فى

مصر طلبوا فى وقت مبكر المصالحة مع الكنيسة ، على أن هذا التغيير لم يكن تغييراً كلياً شاملاً . وبناء على ذلك لم يستطع حزب المعتدلين حل مشكلة الانقسام فى الكنيسة الممزقة . وهكذا أضاف ظهور الأبولوناريوسية بدعة جديدة فى الكنيسة لم تكن فى حاجة إليها . ولقد تجنّد أتباع أبولوناريوس وخاصة المحافظون فى نشر أفكار معلمهم . فعندما صدرت القرارات الكنسية والامبراطورية ضد تعاليم أسقف لاودكية واتباعه . حاول هؤلاء دس هذه التعاليم ونشرها تحت أسماء لامعة معروفة ، ومعترف بسلامة عقائدها . وهكذا أخفوا اسم أبولوناريوس مستعملين أسماء القديس أثناسيوس المصرى ، وغريغوريوس العجائبى والبابا يوليانوس الرومانى[٥] ولقد أدى هذا الأمر إلى بلبلة فى الأذهان ، وتشويش فى الكنيسة وتشكيك فى العقيدة .. وسنرى فيما بعد أن القديس كيرلس نفسه كان أحد ضحايا هذه الكتب المدسوسة والمزيفة العناوين . وهذا ما حدث أيضاً مع الراهب إتيخوس . فإن تعاليم أبولوناريوس الخاصة بالطبيعة الواحدة مهّدت الطريق أمام إتيخوس الراهب وهرطقته .

كتابات أبولوناريوس

كان معلم لاودكية سيّال القلم ، سهل الأسلوب ، فصيح التعبير متسع فى المعرفة فى فروع كثيرة من العلوم ، ولذلك فقد كتب فى مواضيع متشعبة مختلفة ، تعالج أموراً شتى فى الفلسفة والأخلاق والتعاليم العقائدية والتفسير والشعر والنثر والخطابة .. ولكن للأسف الشديد لم تتبق لنا من هذه المؤلفات الكثيرة إلا القليل ، والقليل جداً . فقد ضاع معظمها . على أنه قد وصل إلينا البعض من كتاباته باسمه والبعض الآخر تحت اسماء مستعارة ، كما سبق الإشارة إلى ذلك .

١ - **كتبه الدفاعية** : كتب بالاشتراك مع أبيه عدة كتب لشرح العقيدة المسيحية فى عصر يوليانوس المرتد . وكان لهذه الكتب هدف تعليمى .

٢ - **كتب تفسيرية** : إن فوازن (Voisin) المتخصص المعروف فى كتابات وتعاليم أبولوناريوس يعرفنا بأن أسقف لاودكية قام بتأليف كتب تفسيرية عديدة ، كما يوجد عدد كبير آخر من التفاسير التى يمكن نسبتها إليه على أن هذه التفاسير لم تمّر بمرحلة النقد لفحصها والتعّرف على مصدرها الحقيقى . وينسب فولهابر (M. Faulhaber) إلى أبولوناريوس ٨١ نصاً تفسيرياً من العهدين[٦] .

---

5. Liebaert 150.

6. Danielou 382.

٣ – كتب عقائدية : يعرفنا تيموثاوس البيريتى (البيروتى) بأن معلم لاودكية كتب كتابين ضد ديودوريوس (Diodore) ولقد احتفظ ثيودوزيطس القورشى (Theodoret de cyr.) ببعض المقتطفات من أعماله التى تدعى Earanis - Me . ويعتقد درازك (Draesek) بأن هذين الكتابين كتبا بعد سنة ٣٧٣ .

٤ – قانون إيمان : يحتمل بأنه قدم فى سنودس سنة ٣٧٨ أو فى سنة ٣٧٩ .

٥ – خطابات : كتب كتاباً آخر يذكره غريغوريوس النيسى . ويذكر لنا درازك ١٢ نصاً أو شذرة كرستولوجية ، وهى عبارة عن خطابات كتبها أبولوناريوس .

٦ – كتابان : كتبهما ضد تعاليم إريجانوس ودنسيوس الخاصة بالتبعية أى أن الابن خاضع للآب وتابع له وهى التعاليم التى أيدها ونادى بها هذان المعلمان المصريان .

٧ – كتاب ضد فلافيانوس : كتب هذا الكتاب ضد فلافيانوس الذى صار فيما بعد أسقفا لأنطاكيا .

٨ – سلسلة أخرى من الكتب : تحتوى على تعاليمه العقائدية : مثلا كتاب عن الاتحاد فى المسيح ؛ أى إتحاد اللوغوس بالجسد . كتاب آخر عن التجسد ، وظهور الله فى الجسد . كتاب آخر ضد الذين يعلمون بأن اللوغوس أو الكلمة حلّ فى إنسان . ومن الملاحظ بأن معظم هذه الكتب التعليمية قد دسها أتباعه تحت أسماء أرثوذكسية مستعارة كاسم غريغوريوس العجائبى ، البابا يوليانوس ، القديس أثناسيوس ، حتى يسهلوا إنتشارها والاطلاع عليها دون التعرض لمصادرتها لأنها كانت ممنوعة .

٩ – كتب حوار وعقائد : إن القديس جيروم الذى تعلّم على يديه حوالى سنة ٣٧٤ ينسب له عدداً كبيراً من الكتابات التفسيرية والعقائدية[٧] . وللتوسع فى دراسة هذا الموضوع يمكن للباحث الرجوع إلى المؤلفات المذكورة ، ثم إلى المراجع التى تشير إليها هذه المؤلفات .

---

7. Theodoret. Hist. eccl. 1, 5, 3, 37.

بعض المراجع عن تعاليم أبولوناريوس

1. Apoli ... Ep. Ad. Dioc aes 2. Cité par Kelly 303 - 305 .
2. Athanase Contra Arianos 3,30 P.G. 26, 388. 3,4,7.
3. C. Bihlmeyer - H. Tuchle. Hist. de L'eglise tome 1.
4. Bonifas tome 2.
5. J. Danielou et, H. Marrou. Nouvelle Hist.. de L'eglise..... Ed.. du seuil.
6. Draeseke cité par voisin 85.
7. Eustathe d'Ahtioche de Anima. ced. M. spanneut. Recherches 100, 1^{S} Frag..
8. A. Grillmeier. Le Christ dans la tradition Chrétienne .....
9. M.E. Haag. Hist.... des Dogmes chretiens p^{re} partie..
10. J. Kelly initiation a la doctrine des Péres de L'eglise.
11. J. Liebaert Hist... des Dogmes L'incarnation.....
12. R. A. Norris Manhood and Christ.
13. M. Richard. L'introduction du Mot Hypostase dans La Théologie de L'incarnation. Msr 2 (1945) 189 - 190.
14. H. de Riedmatteh some neglected âspects of Apollinarist christology. Dominican studies 1 (1984) 239 - 260 id.. LChristologie d'Apollinaire de Laodicée Studia patristica 2. (Berlin 1957) 207 - 234.
15. Socrate Hist.. Eccl.. 1. 11. 46.
16. J. tixeront Précis de patrologie
17. G. Voisin. L'apollinarisme: Étude Historique Litteraire et dogmatique sur Le début des controverses christologiques au iv^{e} siecle ....

١٨ - مجموعة الشرع الكنس او قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة ، جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنا نيا الياس كسّاب ص ب ١١٢٩٦٦ بيروت لبنان ص ٢٥٩ . ٢٦١

١٩ - علم اللاهوت النظامى دار الثقافة المسيحية . القاهرة ص ٧٨٧

٢٠ - الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . يسوع المسيح عبر الاجيال . المجلد الاول ص ٦٧٧ - ٦٧٦

الجـــزء الثـــانـــى

الفصـــل الأول

المراحل التى مرّت بها التعاليم الكرستولوجية قبل وبعد مجمع نيقية

إن الدارس المدقق لتاريخ الفكر المسيحى ، يلاحظ بلا عناء أن التعاليم الكرستولوجية (أى التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح) قد تطّورت وتنوعّت وتشعبّت فى القرون : الثالث والرابع والخامس بطريقة لم يسبق لها مثيل ، وخاصة فى القرنين الرابع والخامس . ففى هذه الحقبة من الزمان تعرّضت الكنيسة أكثر من أى وقت سابق للإجابة على سؤال المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » (متى ١٦ : ١٣) لا بل شعرت الكنيسة خلال هذين القرنين أن نبوة سمعان الشيخ القائلة « .. إن هذا (يسوع) قد وضُعَ لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم » (لو ٢ : ٣٤) قد تحققت .

إن المعلمين (اللاهوتيين) وآباء الكنيسة الذين حاولوا الإجابة على سؤال المسيح لتلاميذه ؛ إنقسموا فى إجاباتهم إلى مدارس وأحزاب ومذاهب ، أدت إلى إنقسام الكنيسة وتمزيقها . وفى هذا الفصل سنحاول عرض وتحليل بعض العقائد والأفكار الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح التى ظهرت خلال هذين القرنين . ولكن قبل أن نبدأ فى دراسة تحليلية لأفكار بعض معلمى هذه الحقبة التى تُعَدُ من أهم الحقبات التاريخية فى تاريخ الفكر المسيحى ، نود أن نلفت نظر الدارس إلى النقاط الآتية :

أولاً : عقيدة الكنيسة فى شخص المسيح قبل مجمع نيقية :

إن المشاكل العقائدية التى تعرّضت لها الكنيسة فى الثلاث قرون الأولى هى : توضيح أصل ونسبة الإبن للآب . ففى القرنين الأول والثانى كانت الكنيسة الناشئة موجودة فى وسط يهودى ووثنى . فحتى أعضاؤها كانوا من أصل يهودى ووثنى . وعندما قبلوا المسيح كمخلص

لهم ، ودخلوا فى عضوية الكنيسة ، أراد بعضهم – إن لم يكن معظمهم – الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، أو على الأقل البعض منها .

فقد أعتبر بعض الوثنيين المتنصرين المسيح واحداً من الآلهة الكثيرة التى كانوا يعبدونها . كما أن البعض الآخر من اليهود رأى فيه إنساناً ، وإنساناً فقط . فقد إعتقد البعض أن المسيح جاء من فوق ، ومن فوق فقط : فهو سماوى : روح وأن الجسد الذى حلّ فيه ما هو إلا مظهر . هذا ما قد علّمت به الغنوسية والدوسيتية وآخرون من الذين لا يقبلون إلا اللاهوت وحده فى المسيح مجرداً من المادة . وأما البعض الآخر فكان يعتقد بأن المسيح هو ابن مريم ويوسف أو ابن مريم وشخص آخر فهو إنسان وإنسان فقط . كان هذا أيضاً موقف الأبونيين وآخرين ، الذين لا يؤمنون إلا بناسوت المسيح . أمام هذه المشاكل العقائدية شعرت الكنيسة بضرورة ملّحة وسريعة لشرح عقيدتها وأفكارها عن شخص الرب يسوع المسيح .

ولقد تعرّضت الكنيسة فى القرنين الثانى والثالث لموجة أخرى من الأسئلة عندما حاولت أن تشرح لليهود أولاً وللوثنيين ثانياً ، أن يسوع المسيح ليس واحداً من الآلهة العديدة وليس إنساناً مجرد إنسان فقط ؛ بل هو ابن الله « وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح تراءى لملائكة .. » (١ تيمو ٣ : ١٦) فهو اللوغوس أو الكلمة الذى صار جسداً (يو ١ : ١٤) . وأمام عقيدة اللوغوس – أو الكلمة الذى صار جسداً – ظهرت مشاكل عقائدية أخرى . من هو هذا اللوغوس ؟ هل هو الله ؟ أو جزء منه ؟ أو شبه إله ؟ هل هو ابن بالطبيعة أم بالتبنى ؟ وهل طبيعته من طبيعة الله ؟ أم من طبيعة أخرى ؟ وما هى علاقة الآب بالابن ؟ ومن هو الأصل ومن هو الفرع ؟ ومن هو السابق ومن هو اللاحق للثانى ؟ ومن هو الأعظم ؟ لقد أُثيرت كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى، حول شخص الرب يسوع المسيح . وحاولت الكنيسة بدورها أن تقدم إيمانها وعقيدتها فى شخص المسيح يسوع : بأنه ابن الله والمساوى له فى الجوهر وفى الزمن وفى القدرة وفى المجد .

ومن المشاكل التى ظهرت فى هذه الحقبة ولعبت أيضاً دوراً هاماً جداً فى تاريخ الفكر المسيحى الكرستولوجى مشكلة وجود روح بشرية فى المسيح . فالسؤال الذى تسبب فى خلق تباين للتعاليم الكرستولوجية فى الكنيسة هو ما أشرنا إليه فى الفصل السابق : هل الكلمة ، اللوغوس ، ابن الله حلّ فى جسد بدون روح بشرية ؟ أم أن الكلمة اللوغوس ابن الله حلّ عند التجسد فى إنسان كامل التكوين من روح بشرية وجسد ؟ إن الاعتراف أو عدم الاعتراف بوجود روح بشرية فى شخص الرب يسوع المسيح إحتل مكانة هامة فى التعاليم الخاصة بشخص المسيح . فعندما ظهرت الأريوسية ونادت بعدم وجود روح بشرية فى المسيح لاحظنا رد الفعل لهذه الهرطقة فى تعاليم المعلم الأنطاكى استاثيوس (Eustathe) الذى نبّر بشدة فى تعاليمه على حقيقة وجود روح بشرية فى المسيح .